Ruyah fi

رؤية

في أصول المسيحية

وقائع المحاورة الإسلامية المسيحية

«إيطاليا ١٩٨١»

رؤية

في أصول المسيحية

وقائع المحاورة الإسلامية المسيحية

«إيطاليا 1981»

أحمد شيخ البساتنة

الطبعة الأولى 2006

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - هاتف: 2236468- 094330989

البريد الالكتروني: taakwen@yahoo.com

أحمد شيخ البساتنة

Ruyah fi usul al-masihiyah

رؤية

في أصول المسيحية

وقائع المحاورة الإسلامية المسيحية

«إيطاليا ١٩٨١»

التي تمت بين

الشّيخ الدّكتور «محمد حسن»

وكل من

القسيس الكاثوليكي «Danilo» ومفسر الأناجيل «Abrigo»

وأستاذ اللاهوت «Balmori»

- الأصول المسيحية وصراع النّصارى «تلاميذ المسيح» مع الكنيسة ٣٢٥م.
- ما جاء في الأناجيل (bible) يثبت أن المسيح لم يمت على الصليب بل أنزل حياً.
- الطوائف الموحدة لله وتطور الحركات المسيحية الموحدة في العالم.

﴿ وقَالُوا اتَّخذ الرَّحْمَنُ وَلَداً (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً (٩٣) ﴾

مريم - ٨٨- ٩٣

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾

المائدة - ١٧

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾

النجم - ٢٨

المحتوى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة السَّلامُ على سيدنا مُحَمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين ومن تبعهُ بإحسانٍ إلى يوم الدِّينِ.

الحمد للهِ الذي جعلَ لنا نوراً.. وجعلَ لنا فرقاناً..لا إلهَ إلا هو وسِعَ كلَّ شيءٍ علماً.

كانت الحقيقةُ وما تزالُ ضالةَ المؤمنِ وهدفهُ المنشود، فقد شغلتْ فكرهُ في كلِّ مجالٍ، في العقيدةِ، وفي الخالقِ وجوداً وذاتاً، والكون منشأً ونظاماً وتطوراً ومآلاً، وفي أنظمةِ سلوكِ الإنسانِ وذاتِهِ ومعاشِهِ وعلاقتهِ مع ربهِ، ومع أخيهِ الإنسان، ومدى ما يُستفادُ منها لضمانِ سعادتهِ وأمنهِ ورخائهِ...

فقد وصلَ حتى الآن إلى حقائقٍ، التقى فيها مع أخيهِ الإنسان، كحقيقةِ وجودِ اللهِ الخالقِ لكلِّ شيءٍ والقادرِ على كلِّ شيءٍ، وكحقيقةِ خلقِ الكونِ وأصلِ نشأتهِ ومصيرهِ، وحقائقِ القيمِ الإنسانيةِ، وبعثةِ الرُّسلِ ونزولِ الكتبِ وغيرها.

لكنَّهُ ظلَ يختلفُ في حدودِ ما يعتقدُ خلافاً قائماً على مسوغاتٍ ومبرراتٍ فكريةٍ، أو بغياً أو اتباعاً للهوى وانجرافاً مع مغرياتهِ.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

البقرة - ٢١٣

كانَ من ثمرةِ هذا الخلافِ، البعدُ العقدي بينَ الناسِ، وبالتالي البعدُ الاجتماعي، وما يترتبُ على ذلك أحياناً من انفعالاتٍ نفسيةٍ تنعكسُ على الناسِ قطيعةً وبغضاً وكرهاً وانقساماً وحرباً، ولو أنصفوا لحصروا خلافهم فيما بينهم، في الحدودِ الفكريةِ التي يستسيغها منطقهم، ولكنهم أبوا إلا أن يشوبوا العاطفة بالفكرِ والانفعالِ بالمنطق وهوى النفس بالحقِ المجردِ.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

هود - ١١٨- ١١٩

الاختلافُ سنةٌ من سننِ اللهِ ـ تعالى ـ في خلقهِ، كانَ قديماً ولا يزالُ، ولو كانَ الناسُ على عقيدةٍ واحدةٍ لانتفى كلُّ تنوعٍ، وتقدمٍ فكريٍ، ولحُرِمَ الناسُ الإرادةِ الحرةِ التي تمكنهم من الاختيارِ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾

المائدة - ٤٨

الله سبحانه قادرٌ على أن يجعلَ الناسَ كلّهم مؤمنين، ويصبحونَ كالملائكةِ لا يعصونَ للهِ أمراً، لكنَّ القهر والإكراه على الإيمانِ ينافي التكليف المبني على حريةِ الاختيارِ:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

الكهف - ٢٩

وبهذا التأكيدِ من اللهِ ـ سبحانهُ ـ على الحريةِ الفرديةِ في اختيارِ العقيدةِ، تصبحُ الدَّعوة الإسلامية واضحةً في نهجها المعتمدِ على المرونةِ وعدمِ الإجبارِ، وعلى الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، ولهذا الغرضِ نهى الإسلامُ عن مجادلةِ أهلِ الكتابِ سوى بالحسنى.

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

العنكبوت - ٤٦

في مطلعِ هذا القرنِ بدأ الحوارُ الإسلامي ـ المسيحي يأخذُ منحىً جديداً، يعتمدُ في أساسهِ على العلمِ والمعارفِ وأحدثِ المكتشفاتِ الأثريةِ، ويطرحُ المواضيعَ الحساسةِ بكلِّ شفافيةٍ وصدقٍ، مجرداً من مشاعرِ الحقدِ والبغضِ، معتمداً على الوثائقِ والأدلةِ التي لا سبيلَ إلى الطَّعنِ بها.

وقد تزامنَ هذا مع بروزِ عمليةٍ علميةٍ ـ بدأتْ في الغربِ منذُ قرنينِ مع تطورِ الحركاتِ المسيحيةِ التوحيديةِ ـ للبحثِ و الاستقصاءِ في بعثةِ السَّيدِ المسيح الذي بُعثَ في فلسطين أوائل القرن الأولِ، في محاولةٍ للتمييز بينَ ما جاءتْ به رسالتهُ التوحيدية الحقيقة وبينَ ما آمنت به الكنيسةُ المسيحية، للإبقاءِ على تعاليمِ المسيحِ الحقيقةِ وتطيهرِ النصوصِ الإنجيليةِ من أفكارِ ومعتقداتِ «بولس» الميثولوجيةِ - الاسطوريةِ - الإغريقيةِ، والعودةِ إلى فكرِ«النصارى» الأوائل تلاميذِ وأتباعِ المسيح الحقيقيين، الذينَ كانوا قد زالوا نتيجة قمعِ الكنيسةِ المسيحيةِ إياهم سنة ٣٢٥ م.

والقرآن الكريم بإعلانهِ منذ أربعة عشرَ قرناً أنَّ«النصارى» ـ وليسَ المسيحيين ـ كانوا صحابةَ وأتباعَ السَّيدِ المسيحِ الذي جاءَ برسالةِ التوحيدِ للهِ ـ عزَّ وجل ـ ليصحح انحرافاتِ بني إسرائيل، وتطهيرِ كتبهم من بعضِ المعتقداتِ الوثنيةِ، يكون قد أنصفَ السَّيد المسيح مما لحقَ برسالتهِ من التشويهِ، وبينَ المغزى والهدفِ الحقيقي منها، وهو ما اختارتْ الكنيسة تجاهلهُ، مما أدى إلى النتيجةِ الحتميةِ التي ترتبتْ عل ذلك، وهو ما نراهُ اليوم من تدهورِ الإيمانِ الدِّيني في الغربِ، وخاصةً بينَ المفكرينَ والمثقفين الذينَ يبحثون عن ديانةٍ عقلانيةٍ تقومُ على أسسٍ علميةٍ، وليسَ على معتقداتٍ ونظرياتٍ ميثولوجيةٍ - أسطوريةٍ - .

ما يميزُ البحثَ المقدم... أنَّ شواهدهُ وأدلتهُ أخذت من النصوصِ الإنجيليةِ نفسها التي يؤمنُ بها إخواننا المسيحيون - وهي إنجيلُ متى، إنجيلُ مرقس،

إنجيل لوقا، إنجيلُ يوحنا، ورسائلُ «بولس» أو ما يطلقونَ عليهِ« البيبل» ـ Bible ـ«العهد الجديد»، وما جاءَ في الكتابِ من أقوالٍ وتحليلاتٍ دعمتْ الموضوع، كانتْ لعلماءٍ ومفكرين ومؤرخين مسيحيين، لكي تخلو الدِّراسةُ من أيٍّ تعصبٍ أو تحيزٍ أو تعاطفٍ، مما يحفظُ للموضوعِ صدقهُ و مصداقيتهِ التاريخيةِ.

٢٥/ ٣ / ٢٠٠٥ م

أحمد شيخ البساتنة

«باحثٌ في علمِ الأديانِ المقارن»

مدخل

في مطلعِ هذا القرنِ، وبعدَ الكثيرِ من المعاناةِ والصِّراعِ اللذين داما قرنين من العملِ والبحثِ والدِّراسةِ - بدءاً من عصورِ النَّهضةِ الأوربية التي استهلها العالمان فرانسيس بيكون وغاليلو اللذان سيطرتْ عليهما النظرةُ المادية - انتهى أقطابُ العلمِ والباحثون المعاصرون إلى نتائج في مجالاتِ الفيزياءِ والكوزمولوجيا، وأبحاثِ الأعصابِ و علم النَّفسِ، هدمتْ النَّظرةُ المادية التي تنكرُ وجودَ اللهِ - عزَّ وجل - إذ قالوا: «ليسَ من الممكنِ أن تكونَ المادةُ العاريةُ عن الشَّعورِ، هي مصدرُ الهيئةِ البديعةِ، والأشكالِ العجيبةِ، والصُّور الأنيقة وغيرَ ذلك مما خفي سره وظهرَ أثرهُ، أيضاً هي ليستْ مصدراً لهذا النظامِ المتقنِ والمعجزِ الذي يسودُ الكون، وأساسهُ القوانين، والسُّنن الكونية الثابتةُ التي لا تتغير ولا تتبدل، والتي تحكمُ كلَّ ذرةٍ من ذراتِ الوجودِ، بل في كلِّ ما هو دونَ الذرةِ عندَ نشأتها الأولى».[1]

قوانين الدِّيناميكا الحرارية وعلمِ الفضاءِ - الكوزومولوجيا - مثلاً تدلُ على أنَّ الكون لهُ نهايةٌ - وهو عكسُ ما ظنهُ الماديون بأزليةِ المادة - وإن كانَ للكونِ نهايةٌ فلا بدَّ من أن يكونَ لهُ بدايةٌ - وقد حُددتْ بتقريبٍ مقبولٍ -، وبالتالي إذا كانَ لهُ بدايةٌ فلا بدَّ لهُ من مبدئٍ - حيثُ نشأ هكذا دفعةً واحدةً بهذا الشَّكلِ المتوازنِ -، ومن صفاتِ هذا المبدئ، العقل والإرادة والحكمة و..، ومن طبيعة تخالف طبيعة المادة، خبير لا نهاية لخبرته، لا تدركه الأبصار، وهو يدركُ الأبصارَ، وإذا أردنا أن نلمسَ وجودهُ فيكون ذلك باستخدامِ العنصرِ المادي فينا كالعقلِ والبصيرةِ.

---

(1) «The evidence of God In An Expanding Universe»

تأليف نخبةٍ من العلماء الأمريكيين بمناسبةِ السَّنةِ الدّوليةِ لطبيعياتِ الأرضِ - نيويورك

وهكذا توصلَ عددٌ كبيرٌ من هؤلاءِ العلماءِ والمفكرين إلى أدلةٍ وقناعاتٍ قطعيةٍ تؤكدُ أنَّ كلَّ ما في الكونِ ينطقُ بأنَّ لهُ خالقاً يمنحُ كلَّ ذرةٍ من ذراتهِ أسباب قوتها ونظامها الذي يربطها بالقانونِ الناظمِ العام، فخرجَ هذا الكونُ بهذا الاتزانِ المحكمِ وبهذا الارتباطُ بينَ قوى الطَّبيعةِ المسخرِ لخدمةِ الإنسانِ ومظاهرِ الجمالِ والإبداع[2].

لكن ذلكَ الخالق العظيم، لا يمكنُ أن يكونَ ذلكَ الإله الذي تصورهُ الأناجيل الحالية، أو ما يسمى الكتابُ المقدسِ «العهد الجديد».

العالم الفيسيولوجي «وولتر أوسكار لندبرج» يقول[3]:

«جميعُ المنظماتِ الدِّينيةِ المسيحيةِ تبذلُ محاولاتٍ لجعلِ الناسِ يعتقدونَ منذُ طفولتهم بإله على صورةِ الإنسانِ، وعندما تنمو العقول بعدَ ذلك، وتتدربُ على استخدامِ الطَّريقةِ العلميةِ تجدُ أن تلكَ الصُّورةَ لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكيرِ، أما إذا آمَن بما تكشفُ عنهُ، وتدلُ عليهِ الظَّواهرِ الطَّبيعيةِ فإنَّهُ يسيرُ في الطَّريقِ السَّليمِ نحو الإيمانِ بجلالِ اللهِ وحدهُ وقدسيتهِ».

يقولُ الحقُ سبحانهُ:

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

المؤمنون - ٩١

في الأناجيل «العهد الجديد»: يقرُ كلٌ من سفر متى «١/ ١٨» وسفر لوقا «١/ ٣٤» بالميلادِ المعجزِ لعيسى ـ عليهِ السَّلامِ ـ لكنهما معاً لا يجدانِ غضاضةً في القولِ إنَّ:

«عيسى كانَ ابنَ يوسف النَّجار -زوجُ مريم-» سفر متى «١/ ١٦» ولوقا

---

[2] (علماء الغرب ومفكروه ما الذي وجدوه في الإسلام والقرآن) أحمد شيخ البساتنة.

[3] «The evidence of God In An Expanding Universe»

تأليف نخبةٍ من العلماء الأمريكيين بمناسبةِ السَّنةِ الدَّوليةِ لطبيعياتِ الأرضِ. نيويورك

«٢٣/٣». وفوقَ ذلك ينسبُ للسيدِ المسيحِ إخوةٌ وأخوات «متى ٩/ ٣٧» و سفر مرقس ولوقا، وهو باعتراف الأناجيل نبيٌّ «لوقا١٩/٢٤» ولكن في الوقت نفسه جعلوه ابن الله «متى ٣٧/٩» و «يوحنا٢٧/١١»، وفي مراتٍ أخرى جعلوهُ إلهاً يمشي بينَ الناسِ، ثمَّ جعلوهُ حملَ اللهِ الذي ذبحَ على الصَّليبِ - كما سنرى في الكتابِ- ، وكلُّ ذلك في آنٍ معاً.

نقرأ في الإنجيلِ :

«.. ونحنُ نبشركم كما جاء في المزمورِ الثاني: أنتَ ابني، وأنا ولدتك»

أعمال «١٣/٣٢-٣٣»

وفي إنجيلِ يوحنا: «هكذا أحبَّ اللهُ العالم حتى بذلَ ـ ذبحَ ـ ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كلُّ من يؤمنُ بصلبهِ، بل تكون لهُ الحياة الأبدية».

يوحنا «٣/١٦»

وفي فقرةٍ أخرى «سألها.. ألستِ تؤمنين بهذا؟ أجابت : نعم أنا أؤمن كلَّ الإيمانِ بأنكَ أنتَ المسيحُ ابن الله الآتي إلى العالمِ»

يوحنا «١١/٢٧»

ويضيف: «الآب يحبُ الابن فجعلَ كلَّ شيءٍ في يديهِ، من يؤمن بالابن، فلهُ الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن لا يرى الحياة بل يحل عليهِ الغضب»

يوحنا «٣/٣٥ - ٣٦»

وعندَ بولس: «ولا يقدرُ أحد أن يقول أنَّ يسوع ربٌّ إلا بإلهامٍ من الرُّوح القدس».

رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس« ١٢/٣»

أليسَ غريباً ما قالوه وهل يقبلُ العقل مثلَ هذا في حق الله.

يقولُ الله ـ عزَّ وجل ـ في كتابهِ العزيز :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً (٩٣) ﴾

سورة مريم - الآيات ٨٨- ٩٣

تلكَ الآية الكريمة كانت الدَّافعَ الأقوى للقيام بتلك الدراسة، التي بينا فيها خطأ معتقداتِ الكنيسةِ المسيحانية الميثولوجية - الأسطورية - الإغريقية، وبطلانها، التي تبنتْ نظرياتُ «بولس» وتلامذتهِ مؤلفو الأناجيل بعدَ رفعِ السَّيدِ المسيحِ بـ ٧٠ عاماً.

لم يكتفِ بولس وتلامذتهُ بأن جعلوا السَّيد المسيح ابن اللهِ، لقد اكتشفَ بولس الذي تأثرَ بالثقافةِ اليونانية الهلنستية الأسطورية بعدَ ذلك أن السَّيد المسيح: «وجدَّ على صورةِ الله»

رسالتهُ إلى أهلِ فيليبي«٢/٦»

وفي فقرةٍ أخرى:

« كانَ في ظاهرهِ بشراً، وظهرَ في صورةِ إنسانٍ، واتخذَ صورةَ العبدِ، ويشهدُ كلُّ إنسانٍ أنَّ يسوع هو الرَّب».

رسالته إلى أهل فيليبي«٢/ ٨- ١١»

أيضاً :

«كلمنا الله بابنهِ الذي جعلهُ وارثاً لكلِّ شيءٍ وبهِ خلقَ العالم وهو بهاءُ مجدِ الله وصورة جوهرهِ، يحفظُ الكونَ بقوتهِ».

رسالتهُ إلى العبرانيين «١/٢- ٣»

ويقول أحد رجال الدِّين المسيحيين الكاثوليكك:

بالرُّغمِ من أنَّ الكتاب المقدس يعلم أنَّ يسوع المسيح كانَ إنساناً فإنَّهُ يقرُ

بأنَّهُ الله أيضاً[4]:

«كانَ إنساناً، فقد ولد من العذراء مريم، لكنهُ كانَ أيضاً الله.. وصارَ بشراً وعاش بيننا».

يوحنا«١/١ -١٤»

وقالَ على لسان السَّيد المسيح «ألا تؤمن بأني في الآب وأنَّ الآب فيَّ»

يوحنا «٢٠/١٤»

وهنا نقولُ :

هل أصابَ العقولَ القحط؟. إنَّ الله سبحانهُ أكبرُ وأجَلُ من أن يحل أو يتجسد في جسدٍ مادي، ويصبحَ بشراً يمشي بينَ الناس «وهذا ما سنوضحهُ لاحقاً»

يقولُ الحق سبحانهُ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾

المائدة- ١٧

وحسبَ قولِ الكنيسةِ باعترافهم [5]:

لم تصبحْ مسألةُ لاهوتِ المسيحِ قضيةً معتمدةً إلا في عامِ ٣١٨ - ٣٢٠ بعدَ المسيح في مجمع نيقية.

أي أنَّ الإيمانَ أصبحَ بقرارٍ من الناس، على حسبِ ما يتصورون، وبالاتفاقِ على بعضِ النَّظرياتِ في المجمعاتِ والمؤتمراتِ، ثمَّ فَرضْ ذلكَ القرارُ بالقوةِ، حيثُ قامتْ الكنيسة بدعمٍ من الإمبراطور قسطنطين الذي وضعَ فرقَ الجيشِ تحتَ تصرفها، بملاحقةِ تلاميذِ وأتباعِ المسيحِ الحقيقيين وكلٍّ من يرفضُ عقيدة نيقية والثالوث المقدس الذي قامَ في الأصلِ على رؤيةِ بولس وتأملاتهِ ونظرياتهِ الفلسفيةِ «كما سنرى في الفصل الثاني».

إنَّ كلَّ من يقرأ رسائل «بولس» في الأناجيل - العهد الجديد - يجدُ في بدايةِ

---

(٤)- (٥) من منشورات الكنيسة: «لاهوت المسيح» لجوش مكدويل - كاتب مسيحي كاثوليكي -

كلُّ جملةٍ من تعاليمهِ كلماتٍ ظنيةً افتراضية تدلُ على أن تلكَ الأقوالَ التي أصبحتْ عقيدة وديناً فيما بعد، ليستْ إلا رأياً أو نظرة خاصةً أو فكرةً فردية، لا ترقى بأيِّ شكلٍ من الأشكالِ إلى درجةِ اليقين أو القطعي الثابتِ، مثل: «أرى أنَّ، وهكذا يكون، ألا تعلمون أنَّ، إذاً نستطيعُ أن نقول، وهذا يعني، فكما يكون.. كذلك يكون، .. وهكذا.. ».

يقول الكاردينال دانييلو [٦] :«كانَ خرابُ القدسِ على يدِ الرومان عام ٧٠م نصراً غيرَ مباشرٍ للحركةِ المسيحيةِ التي أنشأها " بولس "، وبذلك تشتت معظمُ النصارى - تلاميذُ المسيح - من القدسِ وقتلَ الكثيرُ منهم وزالتْ سلطتهم، ومن ثمَّ بدأتْ المسيحية بالانتشارِ - كانَ أولُ ظهورٍ للفظ المسيحيين في إنطاكية بعد المسيح بـ ٣٠ عاماً -، خصوصاً أنَّها لم تكنْ طرفاً في العصيان ضدَ روما. بعدَ ذلك هيمنَ المسيحيّون اليونان وحقق بولس نصراً على أتباعِ المسيحِ الحقيقيين، وتبلورتْ بعدَ ذلك المسيحية الهلنستية في عامِ ٣٢٥ م بقرارتِ مجمعِ نيقية التي كرستْ المسيحية رسمياً، وأصبح منذ ذلك الوقت قانون الإيمان وعقيدة الكنيسة إلى يومنا هذا».

ومن أهمِ الأسسِ التي قامتْ عليها عقيدةُ«نيقية» وحسب فكر «بولس» مؤسسها :

«أنَّ عيسى صُلبَ ومات على الصَّليبِ لُيخلصَ الذينَ يؤمنون بصلبهِ من الخطيئةِ التي لصقتْ بهم عندما أكل آدم من شجرةِ الخلدِ في الجنةِ وتمردَ على اللهِ، حيثُ دخلتْ الخطيئة إلى الجنس البشري وأصبحوا بحاجة إلى فداء ودفع ثمن هذه الخطيئة، وهكذا وجدَ الله نفسهُ - بحسب قولهم - في موقفٍ صعبٍ، فاختارَ أن يضحي بابنهِ الوحيد - عيسى - وأن يُرَاقَ دمهُ على الصَّليبِ ويصبحَ خروفَ الأضحيةِ، ككفارة، وليصالحَ بهِ الناس ويغفرَ خطاياهم السَّابقةَ واللاحقةَ، ويصبحَ الخلاص -الدُّخولُ إلى الجنةِ- بالإيمانِ بالصَّلبِ لا بالأعمالِ الصَّالحةِ».

---

[٦] «مقارنة الكتب السَّماوية على ضوء المعارف الحديثة» للدكتور الفرنسي موريس بوكاي

جاءَ في العهدِ الجديد «مجموعة الأناجيل»:

«كان عليهِ - يقصد عيسى - أن يكونَ كاملاً، لأنَّ الله لا يقبلُ إلا الذبائح غيرَ المعيبةِ، وهكذا فقد سفكَ الله الابن دمهُ من أجلنا»

أعمالُ الرُّسل «٢٠/٢٨»

«فبدونِ سفكِ دمٍ لا تحصل مغفرةٌ»

رسالة بولس إلى العبرانيين «٩/٢٢»

«وهكذا افتدى اللهُ العالم بالكبشِ العظيمِ يسوع المسيح، الذي مات عوضاً عنا ليمحو خطايانا».

يوحنا« ١/٢٩»

«هو صورةُ اللهِ، بهِ الله خلقَ كلَّ شيءٍ، ولهُ خلقَ الله كلَّ شيءٍ، فبدمهِ وعلى الصَّليبِ حققَ السَّلام».

رسالة بولس إلى أهلِ كولوسي«١/١٥. ٢٠»

من هنا نستطيعُ أن نخاطبَ كلَّ ذي عقلٍ متفتح - مع ثقتنا التامة، بأنَّهُ سيدركُ ويفهمُ ما الذي يدفعنا إلى رفضِ مثلُ هذهِ المعتقداتِ الوثنيةِ الأسطوريةِ عندَ إخواننا المسيحيين، وسيدركُ أيضاً ويفهمُ الرِّسالةَ الخالدةَ التي جاءَ بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من عندِ الله - عزَّ وجل -، التي أنصفتْ رسالة السَّيد المسيحِ من التشويهِ الذي لحقَ بها - فنقول : هل الله - عزَّ وجل - دموياً - استغفره - إلى الحدِ الذي لا يغفرُ خطيئة سيدنا آدم «عليهِ السَّلام»، حتى يرى ويُسر - حسبَ تعبيرِ الكتابِ المقدسِ - برؤيةِ دمِ سيدنا عيسى عليهِ السَّلام مسفوحاً على الصَّليبِ ؟.

ثانياً : إنَّ الله «عزَّ وجل» يغفرُ لعبادهِ الخاطئين ويرزقهم، فهل كانَ عاجزاً عن أن يغفرَ خطيئةَ آدم، وهو أبو الأنبياءِ، ولهُ من المكانةِ عندَ الله مالهُ، ثمَّ ينتقِمَ بعدَ آلافِ السِّنين من عيسى المسيح بموتهِ عوضاً عن آدم «عليهِ السَّلام»

قانون الله : أجرة الخطيئة الموت .

ثالثاً : إذا كانَ البشرُ بضعفهم يغفرون لغيرهم من البشر، فكيفَ باللهِ القوي، العادل، الحكيم...، ورحمتِهِ التي وسعتْ كلَّ شيءٍ.

﴿ ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾

إذا غفر الله لآدم . إذاً حق الشيطان بالغفران أيضاً

فاطر- ١٨

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ الناس بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾

النّحل - ٦١

ونضيف إلى ذلك أيضاً: هل من التكريمِ والتقديرِ لشخصِ سيدنا عيسى عليهِ السَّلام أن تصورهُ الأناجيل الحالية بأنَّهُ خروفُ الضحيةِ :

« الخلاصُ لإلهنا الجالسِ على العرشِ وللخروفِ - عيسى- ».

رؤيا يوحنا «١٠/٧»

«فدخلَ قدسُ الأقداسِ مرةً واحدةً، لا بدمِ التيوسِ والعجول، بل بدمهِ، فكسبَ لنا الخلاص الأبدي، قرباناً لا عيبَ فيهِ».

رسالة بولس إلى العبرانيين« ٩/١٢ - ١٤».

ويتوصّل الأمر إلى أكثر من ذلك.. ما قالهُ بولس :

«فالذي افتدانا من لعنةِ الناموسِ هو المسيحُ الذي صارَ لعنةً من أجلنا».

رسالة بولس إلى أهلِ غلاطيه« ٣/١٣»

المسيح - حسبما رأى بولس- صارَ لعنةً، ومن أجلِ مَّن ؟ من أجلِ خطايا المفسدينَ والمجرمين في الأرضِ !

الناموس الذي هو شرعُ اللهِ تعالى وتعاليمهُ، والذي فيهِ هدايةُ البشرِ، ومن أجلهِ أرسلَ الله الرسلَ، جعلوهُ أيضاً لعنةً !

«فالذي افتدانا من لعنةِ الناموسِ هو المسيحُ بأن صارَ لعنةً من أجلنا، فالكتاب يقول: ملعونٌ كلُّ من ماتَ معلقاً على خشبة».

رسالة بولس إلى غلاطية «١٣/٣»

أليستْ هذهِ دعوةٌ للفسادِ في الأرضِ وارتكابِ الفواحشِ باسم الدين، وباسمِ المسيح المخلصِ لكلِّ خطايا العالم عندما صُلب !

إذ يكفي - على رأي بولس - أن تؤمنَ أنَّ المسيح صُلبَ وماتَ على الصَّليبِ، وتأكلَ من «القربانِ المقدسِ» الذي يرمز إلى الأكلِ من لحمهِ وشربِ دمهِ«راجع الفصل الثاني»، حتى يأتيكَ هذا الخلاصُ مجاناً، وتحقق بذلك الحياة الأبدية والنجاةِ في الآخرةِ. فحسب ما جاء في الأناجيل:

«فهو يبررهم بالإيمانِ بيسوع المسيح، فهم كلهم خطئوا، ولكن الله بررهم مجاناً بنعمتهِ بالمسيحِ يسوع الذي افتداهم والذي جعلهُ كفارةً في دمهِ لكلٍّ من يؤمنُ بذلك، فنحنُ نعتقد أنَّ الإنسان يتبرر بالإيمان، لا بالعملِ بأحكامِ الشَّريعةِ.»

رسالة بولس إلى رومه«٢١/٣- ٢٨»

ويشرح بولس وجهة نظره التي أصبحتْ عقيدةً للإيمانِ بعد المسيح بـ٣٢٥عام:

«لأنَّ خرقَ الشَّريعةِ يسببُ الغضبَ الإلهي، فعندما لا تكون شريعة، لا يكون بالتالي خرقٌ لها».

رسالة بولس إلى أهلِ رومية«١٥/٤»

«لكني ما عرفتُ الخطية إلا بالشَّريعة، فلولا قولها لي:لا تشتهِ[٧]!» لما عرفتَ

---

[٧] لا تقتل،لا تزنِ، لا تسرق، لا تشتهِ امرأةَ غيركَ، أكرمْ اباكَ وامكَ، لا يكن لكَ آلهة سواي، لا تشهد زوراً، تلك هي الوصايا العشرة التي نزلتْ على سيدنا موسى، وكانتْ اسس الشَّريعة، وجاءَ سيدنا عيسى واكدها، كما جاءَ في إنجيل متى «لا تظنوا إنني جئتُ لأبطلِ الشَّريعةِ وتعاليمِ الأنبياء، بل لأكملَ، وإلى أن تزولَ السَّماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ من الشَّريعةِ«متى» «١٧/٥- ١٩»، أيضاً يقولُ سيدنا عيسى «سمعتم في الشَّريعةِ : لا تزن، وانا اقولُ من نظرَ إلى امرأةٍ ليشتهيها، زنى بها في قلبهِ» ثمَّ ياتي بولس بعدَ المسيح ويلغي هذهِ الشَّريعة معتبراً- حسبَ رأيهِ - أن صلبَ المسيحِ أعفانا منها.

الشَّهوة، ولكن الخطيئة وَجدتْ في هذهِ الوصية فرصةً لتثيرَ فيَّ كلَّ شهوة، لأن الخطيئة بلا شريعةٍ ميتة».

رسالتهُ إلى أهلِ رومه« ٧/٧- ٨»

«أما الذين يتكلمونَ على العملِ بأحكامِ الشَّريعةِ ـ لا تقتل، لا تزنِ، لا تشرك بالله، فهم ملعونونَ جميعاً».

رسالة بولس إلى أهلِ غلاطية« ٣/١٠»

وهكذا فقد ابتكرَ «بولس» عقيدةً فارغةَ المحتوى لم يتركْ فيها للمسيحِ أيَّ دورٍ أو رسالةٍ مفيدةٍ للبشرِ، بل أكثرَ من ذلك فإنَّهُ صورَ المسيح على أنَّهُ شخصيةٌ سلبيةٌ تتلقى الأحداث دونَ أن يكونَ لها أيَّ دورٍ فعالٍ نحو الآخرين.

جاءَ في إنجيل مرقس[٨] « ١١/١٢ـ ١٣ ـ ١٤» و«١١/٢٠ـ ٢١» وفي إنجيل متى« ٢١/١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠»:

«ولما خرجَ في الغدِ من بيتِ عُنيا أحسَ - عيسى- بالجوعِ، ورأى عن بعدٍ شجرةَ تينٍ مورقةً، فقصدها راجياً أن يجدَ عليها بعضَ الثمرِ، فلما وصلَ إليها، ما وجدَ عليها غيرَ الورقِ، لأنَّ وقتَ التينِ ما حانَ بعد، فقالَ لها " لن تثمري إلى الأبدِ ". وبينما هم راجعون في الصَّباحِ، رأوا شجرةَ التينِ يابسةً من أصولها، وتذكرَ بطرس كلامَ يسوع فقال لهُ :«انظر يا معلم ! التينةُ التي لعنتها يبست».

مرقس« ١١/١٣» ومتى« ٢١/١٩»

فهل يعقل أن يكونَ المسيح ـ عليهِ السَّلامِ ـ على هذهِ الدَّرجةِ من الرُّعونةِ والسَّذاجةِ وبهذا الظلم، حتى يلعن شجرةَ التين عندما لم يجدْ عليها ثمراً في غيرِ أوانِ طرحها، «وحاشا لرسولِ الله أن يفعلَ ذلك».

أيضاً لو كانَ كما تقول الكنيسة التي تبنتْ فكرَ بولس، أنَّ عيسى إله على صورةِ بشرٍ مخفياً طبيعتهُ الإلهية، لكانَ باركها وأثمرتْ ثمَّ أكل، أيضاً

---

[٨] مرقس، متى، لوقا، يوحنا : هم كُتّابُ الأناجيل الحاليةِ وهم تلامذةُ بولس، وقد تبنوا فكرهُ، اما الأناجيل الأصلية القديمة فقد قاموا بحرقها وأطلقوا عليها الأناجيل الكاذبة بعدَ مجمع نيقية ٣٢٥ م.

كيفَ يجوعُ ذلك الإله الذي اخترعه بولس، وكيفَ يحتاج إلى الأكلِ، وإذا أكل أفلَن يبول ويتغوط كباقي البشر ؟...

جاءَ في إنجيلِ متى«١٥/٢١ـ ٢٨» ومرقس« ٧/٢٤ـ ٣٠».

«خرجَ يسوع إلى نواحي صور، فأقبلتْ إليهِ امرأةٌ كنعانية من تلك البلادِ، وصاحتْ : " ارحمني يا سيدي، يَا بن داود.. ابنتي فيها شيطانٌ، ويعذبها كثيراً " وارتمتْ على قدميهِ، فما أجابها يسوع بكلمةٍ، فدنا تلاميذهُ وتوسلوا إليهِ بقولهم : " اصرفها عنا وساعدها، لأنَّها تتعبنا بصياحها" فأجابهم يسوع : " ما أرسلني الله إلا إلى الخرافِ الضَّالةِ من بني إسرائيل ". ولكن المرأة جاءتْ وسجدتْ لهُ وقالتْ : " ساعدني يا سيدي " فأجابهم " لا يجوز أن تلقوا بخبزِ الأطفالِ إلى الكلابِ " فقالتْ لهُ المرأة : " نعم يا سيدي، حتى الكلاب تأكلُ من الفتاتِ الذي يتساقط عن موائدِ أصحابها"

متى« ١٥/٢٨» ومرقس«٧/٣٠»

ومن هم الكلاب ؟ إنَّهم الأمميون، أمثالي وأمثالكم، فكلُّ البشرِ فيما عدا اليهود، كلابٌ وخنازيرٌ، كما يقولُ الكتابُ المقدس عندهم «العهد القديم».

وفي«العهد الجديد» على لسانِ السَّيد المسيح نجد :

«لا تلقوا بما هو مقدس إلى الكلابِ، ولا ترموا بالجواهرِ واللآلئ أمامَ الخنازيرِ، لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفتَ إليكم فتمزقكم».

متى« ٧/٦»

لم تكنْ المسيحية ـ بالصُّورةِ التي أوجدها«بولس» في وقتٍ متأخرٍ ـ معروفة خلالَ حياةِ سيدنا المسيح، لأنَّ المسيح نفسهُ لم يكنْ يعلمُ شيئاً عن عقائدِ «بولس» المسيحيةِ التي نشأتْ بعدهُ ونسبتْ إليهِ.

لكن الاكتشاف الذي حدثَ عام ١٩٤٥ م في نجعِ حمادي بمصر، والذي نجمَ عنهُ العثورُ على مخطوطاتٍ قديمةٍ باللغةِ القبطيةِ، قدمَ لنا حقائق هامةٍ عن

رسالةِ السَّيدِ المسيح الحقيقةِ، وقد جاءتْ هذه المخطوطات موافقةٍ لما جاءَ بالقرآنِ الكريمِ، حيثُ عُثرَ بضمنها على سفر " توما " المشتملِ على تعاليمِ المسيحِ الحقيقيةِ، والذي كانَ متداولاً بينَ«النصارى» تلاميذُ المسيحِ الحقيقيين، في وقتٍ مبكرٍ من حياةِ السَّيدِ المسيحِ، قبلَ ظهور نشاطاتِ بولس المسيحية وسيطرة الكنيسة، وملاحقةِ الطَّوائف الموحدةِ للهِ، التي تنكرُ الثالوثَ المقدسِ ولا تعزو صفةَ الألوهيةِ إلى السَّيدِ المسيحِ.

كانتْ النَّتيجة الطَّبيعية لتأليهِ عيسى من قِبلِ الكنيسةِ التي تبنتْ فكرَ «بولس»، إفراغَ رسالتهِ من أيِّ مغزىً عملي، وقد يكون أحدَ أسبابِ ذلك اعتقادُ «بولس» أنَّ نهاية العالم كانتْ وشيكةً أثناء حياتهِ شخصياً، حسبَ ما نقرؤه في رسائلهِ في الأناجيلِ.«راجع الفصل الثاني».

غيرَ أنَّ الأمرَ المحير يكمن في السؤال: كيف استمرت الكنيسة في إصرارها على التمسكِ بعقائدِ بولس بعدَ اكتشافها الحقيقة المرة، وهي أنَّ توقعاتهِ عن نهايةِ العالم والعودة الوشيكة الثانية للسيد المسيح أثناءَ حياة بولس، كانتْ خطأً فادحاً.

لقد نتجَ عن خلطِ تعاليمِ السَّيدِ المسيحِ مع عقائدِ بولس نفسه إلى إبهامِ مواضيعٌ مهمةٌ جداً، وقلبِ معتقداتٍ جوهريةٍ في رسالةِ عيسى - عليهِ السَّلام - حتى سببَ ذلك أذىً كبيراً لمعتقداتِ ملايين المؤمنين، وانتهى بهم إلى الشَّكِ والتهكمِ، ليسَ فقط على رسالةِ عيسى عليه السلام، ولكن في إمكانيةِ وجودِ وحيٍ إلهي، وأوصلوا الناس إلى حالةِ الإلحادِ، وحالةِ«اللادين»، وتفشي الفسادِ الأخلاقي، وانهيارِ العلاقاتِ الأسريةِ والاجتماعيةِ، وهو ما نراهُ اليوم من تدهورِ الإيمانِ الدِّيني في الغربِ، خاصةً بينَ المثقفينَ والمفكرينَ الذينَ يبحثونَ عن ديانةٍ عقلانيةٍ تقومُ على أسسٍ علميةٍ، وليسَ ديانة ميثولوجية «أسطورية».

وفي ذلك كتبَ الأسقف سبونج Spong «راعي أسقفية نيوارك في نيوجرسي بالولاياتِ المتحدةِ الأمريكية» :

«إنَّ كلماتِ عقيدةِ بولس التي طوروها بعدهُ إلى ما سموه عقيدة نيقية، نشأتْ في منظورٍ عالميٍ لم يعدْ لهُ اليوم وجود، بل هي غريبةٌ تماماً عن العالم الذي نعيشهُ حالياً، لأنَّ ما كانوا يعتبرونهُ حقائق عندما صاغوا العقيدة المسيحية قد نسفته المعارف الحالية، وهذه الحقيقة بديهية جداً حتى أنَّها من نافلِ القولِ، وإذا كانَ الإله المفترض أن أعبده هو الذي عرفته العقيدة المسيحية حرفياً فهو بالنسبةِ لي إلهٌ غيرُ معقولٍ ولا يستحقُ عبادتي[٩]»

(9) Spong، john Shelby _ Why Christianity Must Change or Die _ 1998_ p.4

الفصل الأول

وقائع المحاورة الإسلامية المسيحية(١٠)

«إيطاليا ١٩٨١»

في كثيرٍ من الودِ والمصارحةِ جرى هذا الحوارُ بينَ الشَّيخ الدكتور محمد حسن «دكتوراه في علمِ الأديانِ المقارن»، وبينَ كلٍّ من القسيس G.S Danilo، والسَّيد T. E. Abrigo مفسرٌ للبيبلbible، «العهد الجديد أو مجموعة الأناجيل» والسَّيد R. M. Balmori أستاذ اللاهوت. إيطاليا ـ ١٩٨١»

يبدأ الدكتور محمد : إن كانَ باعتقادكم أنَّ السَّيد المسيح هو الله، فمن كانَ الإله قبلَ المسيح.

يردُ الأستاذ " بالموري "Balmori : كانَ الإله هو الآب، وإنَّ الثالوث المقدس المتمثل في الآب والابن و الروح القدس إلهٌ واحد.

الدكتور: هذا يعني أنَّ ١+ ١ + ١ = ١، وليسَ ٣ إذاً.

القسيس: ليسَ على هذا النحو، بل ١ × ١ × ١= ١.

الدكتور: ولكن هذا لا يتفق مع عقيدتكَ، لأنكَ أولاً تؤمنُ بثلاثةِ أسماءٍ مختلفةٍ لثلاثةِ أقانيمٍ مختلفةٍ، و إلا لما احتجتَ أن تقولَ باسم الأب والابن والروحُ القدس، وإن كان جوهر الثلاثة الواحد، فلما لا تقول باسم اللهِ فقط، أيضاً كيفَ يتفقُ قولكَ هذا والمسيحُ ليسَ بقديمٍ، وبالتالي وُجدَ بعدَ أن كانَ معدوماً، فهو غيرُ ذاتِ الله الأبدي الأزلي، وبالتالي جعلتم ١+ ١ + ١ = ١ وليسَ كما تعتقدون ١ × ١ × ١= ١.

الأستاذ أبريغو Abrigo : إنَّ المنطق كما تقول، وقد يعسرُ عليَّ كمفسرٍ للبيبل« bible» أن أشرحَ وأعللَ ولكني لن أنكرُ أقانيم الثالوث حتى أرضي عقلي والعلم، فالعلمُ والدِّينُ لا يتفقان.

---

(10) **«Christanity and Islam» Italia – Milano 1981. Canaan Georgie, (Christian Fundamentalism) press Beirut. Lebanon 1991.**

الدكتور : في الإسلام، العلمُ أعلى درجاتِ العبادةِ، وفي القرآنِ والحديثِ النبوي من الشواهد الكثير.

القسيس دانييلو: الجاهل يحتاجُ في إثباتِ البديهياتِ إلى أدلةٍ لأنَّهُ غيرُ قادرٍ على استيعابها.

الدكتور : على حسبِ قولكَ يستطيع أن يحتجَ بنفسِ القولِ الهندوسي الذي يقدس البقر ويسجد لهُ، ويقول أنَّ تقديسهُ للبقرِ فوق العقلِ والمنطقِ..

وهنا أريدُ أن أسألكم.. بصراحةٍ، عندما تفكرون بالإلهِ الابنِ ماذا تتصورون، أنا أقولَ لكم :

سوفَ تتراءى لكم صورةٌ ذهنيةٌ معينةٌ عن شابٍ وسيمٍ بشعرٍ أشقر، ازرق العينين، بلحيةٍ جذابةٍ، وسيمُ الملامح، والرُّوح القدس«حسبَ الأناجيل» أشبهُ بالحمامةِ حينَ عمدَ يوحنا المعمدان عيسى المسيح في نهرِ الأردن،وأشبه بلهبِ النَّارِ، والصُّورةُ غيرُ واضحةٍ.

- فلديكم إذاً.. ثلاثُ صورٍ ذهنيةٍ مختلفةٍ للثالوث المقدس، وحينَ نسألكم كم صورة ترون ؟... تقولون : واحدةٌ فقط.. فكيف !

يتابع الدكتور : إذا فرضنا أنَّ١+ ١ + ١ = ١ وليسَ ٣، فهل تعني أنَّ الله - عزوجل - هو المسيح، والمسيح هو الله.

- قالوا : نعم.

الدُّكتور: لكن هذا يتعارضُ مع البيبل«العهدُ الجديد» إنَّ مرقس في إنجيلهِ يقول: إنَّ عيسى المسيح «صعدَ إلى السَّماءِ وجلسَ على يمينِ الله».

إنجيل مرقس«١٦/١٩»

وهذا يعني أنَّهما إلهان اثنان حسبَ إنجيلكم وليسا واحد، أحدهما الإله الآب، والآخر الإله الآدمي الذي يُقالُ لهُ يسوع، عادَ الذي في الأرضِ بعدَ الصَّلبِ ليجلسَ بجوار الذي في السَّماءِ.

أيضاً: إذا كانَ كما قلتْ أنَّ الإله الآب + الإله الابن + الإله الروح القدس = جوهٌر واحدٌ، فهل يجوزُ لجوهر إلهي أن يستغيثَ بجوهرٍ إلهي آخر.

قالَ الأستاذ أبريغو : لا ، مستحيل لأنَّهُ لا يوجدُ إلا جوهرٌ احد.

الدُّكتور محمد : لكن الثابتَ في البيبل أنَّ المسيح وهو على الصَّليبِ، اخذَ يصرخ بأعلى صوتهِ ويستغيث قائلاً :«إلهي إلهي لماذا تركتني»

متى«٤٦/٢٧» و مرقس «٢٣/١٥»

ويثبتُ بذلك تعدد الألوهية ، وهذا مرفوضٌ بديهياً ، ثمَّ أليسَ المعنى أنَّ هنالكَ إلهاً معبوداً وعبداً مربوباً ، وإن كانَ جوهرُ الآب هو ذات جوهر الابن، فهل يجوزُ أن يسألَ الجوهر الواحدُ ذاتهُ وينادي ذاتهُ ويستغيثُ بذاتهِ.

فإذا ثبتَ أن للمسيحِ إلهاً يدعوهُ ويستغيثُ بهِ عندَ الشَّدائدِ ثبتَ أنَّ المسيح ليسَ بإلهٍ.

والآن أريدُ أن أسألكم سؤالاً : من خلقَ المسيحُ وأمهُ من العدم ؟

قالوا : الله.

الدُّكتور : أوليسَ من الظلمِ أن نقول أنَّ الله الخالق هو ذاتُ المسيحِ المخلوقِ.

إن كانَ المسيح إله كما تعتقدون، فهل يعني ذلك أنَّ مريم أم المسيحِ أم الإله. وبالتالي عائلةُ إلهية.

قالَ الأستاذ بالموري Balmori: نعم هنالكَ من يقول بألوهية مريم قبلَ القرن السَّادس الميلادِ ويطلقُ عليهم المريميين، وأصحابُ هذهِ البدعةِ هم من الوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية، ولكن هذا غيُر صحيحٍ وقد حاربتهم الكنيسة.

ـ الدُّكتور : إذا كان المسيح إلهاً كما تعتقدون، فما حكمُ أخوةِ المسيح الذينَ أثبتهم «العهدُ الجديد»، وهم يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا.. كما في يوحنا «١٩/١»، وأعمالُ الرُّسل «١٤/١» ومتى «٥٥/١٣» وكورنتس الأولى، فهل هؤلاء الأخوة إلهيون أو عائلةٌ إلهيةٌ، فهل تقبلونَ بمثلِ هذا في حقِ الإلهِ.

القسيس : الكتاب المقدس«الأناجيل الأربعة» تقولُ إنَّ المسيحَ إلهٌ حيثُ لم يكنْ له أبٌ بشري.

الدُّكتور : في العهدِ القديمِ وردَ :

«فقالَ الربُّ لموسى انظر قد جعلتكَ إلهاً لفرعون، وهارون أخوكَ يكونُ نبيكَ».

سفر الخروج «١/٧»

القسيس : إنَّ لهُ تأويل غير أنَّ موسى إله، وهو أنَّهُ مدبرٌ لأمرِ فرعونَ ومتسلطٌ عليهِ.

الدُّكتور : صحيحٌ أنَّ المسيح أتى من العذراء، وليسَ لهُ أبٌ ولكن هذا ليسَ دليلاً على الألوهيةِ، لقد ردَّ القرآن الكريم على هذا الزَّعمِ :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

آل عمران- ٥٩

قالَ الأستاذ أبريغوAprigo : لكن عيسى وردَ فيهِ في سفرِ أشعيا نصٌّ صحيحٌ على ألوهيتهِ ولم يردْ في حقِّ آدم.

يردُ الدُّكتور قائلاً : فما تقولُ أنتَ في حقِّ كهنةِ اليهود فقد جاءَ أنَّهم آلهةٌ على لسانِ المسيح :

«فأجابهم يسوع أليسَ مكتوباً في ناموسكم أنا قلتُ إنَّكم آلهةٌ».

يوحنا «١٠/٣٤ - ٣٥»

فقال : يُرادُ هنا أنهم يحكموا باسمِ اللّه وليسوا آلهةً.

الدُّكتور : هل يجوزُ التلاعبُ بالألفاظ إلى هذا الحد، وهل تقبل من ايِّ حاكمٍ أن يقول أنا اللّه لأنَّهُ يحكمُ بأمرِ اللّهِ.

لقد اعترفَ يوحنا :«إنَّما كتبتُ هذا لتؤمنوا بأنَّ يسوع هو المسيحُ ابنُ اللّه».

يوحنا «٢٠/٣١»

لكن في الإنجيلِ نفسه نجد أنَّ المسيح كانَ يرددُ دائماً معاني تفيدُ بأنَّ عيسى رسولٌ بشرٌ وليسَ بإلهٍ إذ يقول :

«أنا لا أقدرُ أن أعملَ شيئاً من عندي، فكما اسمع أحكم وحكمي عادلٌ، لأني لا اطلبُ مشيئتي بل مشيئةَ الذي أرسلني»

يوحنا« ٥/ ٣٠»

والمسيحُ يؤكدُ ذلك، عندما دنا إليهِ كلٌّ من يعقوب ويوحنا ابنا زبدي، فقالا لهُ :

«يا معلم أجعل أحدنا يجلسُ عن يمينك والآخر عن شمالك - أي في الجنة - فقال لهما يسوع أما جلوسكما عن يميني وعن شمالي فليسَ لي أن أعطيهِ لكما وإنما هو للذين أعده لهما من الله»

متى«٢٠/٢٠ - ٢٣» ومرقس« ١٠/ ٣٥»

فالمسيحُ يؤكدُ أن ليسَ لهُ أن يعطي أحداً شيئاً في ملكِ اللهِ، وأنَّ يعقوب و ويوحنا رغمَ مكانتهما وإيمانهما بالمسيحِ يعلمانِ أنَّ عيسى نبيٌّ ومعلمٌ لبني إسرائيل، ومن أجلِ ذلك خاطباهُ يا معلم في هذا المقامِ.

يقولُ المسيحُ عليهِ السَّلام - أيضاً:

«لا تدعوا لكم أباً على الأرضِ فإنَّ أباكم واحدٌ وهو الذي في السَّماواتِ، ولا تدعوا مدبرين لأنَّ مدبركم واحدٌ وهو المسيحُ.»

متى «٢٣/ ٩ - ١٠»

تثبت الأناجيل أنَّ المسيح لم يُرسلْ إلا لبني إسرائيل خاصة :

عندما جاءتْ امرأةٌ من بني كنعان تقولُ لهُ :

«ارحمني يا بن داود فإنَّ ابنتي بها شيطانٌ يُعذبها، فأجابَ المسيحُ قائلاً« لم أرسلْ إلا إلى الخرافِ الضالةِ من بني إسرائيل»».

متى «١٥/ ٢٤»

ولم يكتفِ السَّيد المسيح بذلك بل لقد أمرَ تلاميذهُ بأن يحصروا دعوتهم في بني إسرائيل :

«إلى طرق الأمم لا تتجهوا ومدنُ السَّامرين لا تدخلوا بل انطلقوا بالحرى إلى الخرافِ الضالةِ من آلِ إسرائيل».

متى«١٠/٥ - ٦»

يتابعُ الدُّكتور محمد فيسأل : هل يجوز أن يتحول الجوهر الإلهي المعبود إلى عبدٍ عابدٍ.

قالَ القسيس : بالطَّبعِ لا.

الدُّكتور : إنَّ الأناجيل الأربعةِ تثبتُ أنَّ المسيح كان يصلي كثيراً ويصوم ويتعبد ويبتهل، أتراهُ كان يتعبد لنفسهِ.

من ناحيةٍ ثانيةٍ : لقد أتى موسى بأكثرِ مما فعلهُ المسيح من السَّيطرةِ على الطَّبيعةِ، فإذا كانَ المسيح ـ عليهِ السَّلام ـ قد سارَ على ماءِ البحيرةِ فإنَّ موسى عليهِ السَّلام ـ ضربَ بعصاهِ البحرَ فانفلقَ «سفر الخروج الفصل ١٤»، وقد سلطَ الضفادع والذباب والبعوضِ على أرضِ مصر وسلطَ عليهم البَرد والجراد، وكانَ فرعون يستغيثُ بموسى فيغيثهم فهل يعني أنَّ موسى عليهِ السَّلام إلهٌ؟

ردَ الأستاذ أبر يغو : المسيح كان يشفي المرضى ويحيي الموتى، فإن لم يكن إله فكيفَ أمكنهُ ذلك.

الدُّكتور محمد : إنَّ موسى شفى أمةً بكاملها في لحظةٍ واحدةٍ، بل هو ـ بإذنِ الله ـ ابتلاهم بالأمراضِ، وعندما انتفخت أجسادهم من القروحِ والبثورِ وأوشكوا على الهلاكِ هم ومواشيهم، رفعَ عنهم البلاء وشفاهم بلحظةٍ، بل لقد كانَ لهُ سلطانٌ أن يهلكَ من يشاءُ من البشرِ في لحظةٍ، حيثُ أهلكَ كلَّ بكر لفرعون وشعبِ مصر حتى بهائمهم كما جاءَ في سفرِ الخروجِ في البيبل «العهد الجديد»

ثمَّ ماذا تقولُ في تلاميذِ المسيحِ، هل هم آلهةٌ أيضاً، لأنَّهم فعلوا ما كانَ يفعلهُ المسيحُ من شفاء المرضى و إحياء الموتى حسب ما جاء في البيبل.

لقد جاء في أعمال الرسل من العهد الجديد: «أن الناس كانوا يُخرجون المرضى إلى الشوارع و يضعونهم على فرش ليقع و لو ظل بطرس فيبرؤوا»

أعمال «٥ / ١٥»

لقد أحيا المسيح ثلاثة نفر من الموت بإذن الله ـ عز و جل ـ و مع هذا كان الشعب يشهد للمسيح بأنه نبي.

«فأخذ الجميع خوف و مجدوا الله قائلين : لقد قام فينا نبي عظيم و افتقد الله شعبه»

لوقا «٧/ ١٦»

أيضاً المؤمنين بالمسيح كانوا يعلمونَ أنَّهُ نبيٌّ كريمٌ، فهذهِ مرتا أختُ مريم حبيبة المسيح، والتي ماتَ أخوها لما علمتْ أنَّ يسوع جاء :

«فقالتْ مرتا ليسوع : لو كنتَ ها هنا لم يمتْ أخي، ولكنني الآنَ علمتْ أنَّكَ مهما تسألِ الله يعطِكَ»

يوحنا «١١/٢١»

كان عليه السَّلام يسألُ الله عزَّ وجل قبلَ أن يفعلَ المعجزةِ ويتعمد ذلك أمامَ الجميع حتى لا يقعوا بالغولِ.

فعندما أرادَ أن يحيي أخا مرتا قالَ سائلاً الله ـ عزَّ وجل ـ:

«فرفعَ يسوع عينيهِ إلى السَّماءِ وقالَ : يا الله أشكركَ لأنكّ سمعتَ لي، وقد علمتُ أنكَ تسمعُ لي في كلِّ حينٍ، لكني قلتُ هذا لأجلِ الجمعِ الواقفِ حولي ليؤمنوا أنَّكَ أنتَ أرسلتني».

يوحنا «١١/٤٢، ٤٣»

ـ فإحياءُ الموتى ليسَ دليلاً على الألوهية إذا كانَ بأمرِ اللهِ ـ عزَّ وجل ـ، وقد ذكرَ العهد الجديد أنَّ تلاميذ المسيح فعلوا ذلك :

«فأخرجَ بطرس الجميعَ وجثا على ركبتيهِ وصلى، ثمَّ التفتَ إلى الجثةِ وقالَ يا طابيتا قومي ففتحتْ عينيها، ثمَّ مدَّ يدهُ وأنهضها».

أعمالُ الرُّسل «٩/٤٠ - ٤١»

القسيس : إنَّ تلاميذ المسيحِ ينادونهِ بقولهم «يا رب» والدَّليلُ كثيرٌ في البيبل.

الدُّكتور: تلاميذ المسيح الحقيقيون وهم «النصارى» كانوا يؤمنون ويعتقدون في نبوّتهِ ورسالتهِ : أسألك، فما معنى ربُّ الأسرةِ ؟

قالَ القسيس : ربُّ الأسرةِ، هو القائم على تدبير شؤونها ووليُّ أمرها.

الدُّكتور : إنَّ لفظَ «الرَّب» كانَ في ذلكَ الوقتِ على سبيل الاحترام، فها هي المرأةُ السَّامرية التي طلبَ منها المسيحُ أن تسقيهِ، مما أثارَ إعجابها، حيثُ أنَّ اليهود قديماً كانوا لا يخالطون السَّامرين حين قالت: (يا رب، أرى أنك نبي).

يوحنا «٤/١٩»

فالمرأةُ لا تعرف المسيح ولا تؤمنُ بهِ، فلفظُ الرَّبِّ للاحترامِ وليسَ للألوهيةِ، لكن «بولس» استفادَ من هذا اللفظ ليدعمَ نظريتهُ في ألوهيةِ السَّيدِ المسيح ونظرية الفداء، وهذا مما يُظهر التناقض الحاصل بينَ تلاميذِ المسيحِ الحقيقيين وتلاميذِ «بولس» الذينَ جاؤوا بعدَ المسيح بـ ٧٠ سنةٍ، وهذا يُظهرُ التناقض بينَ ما نقِلَ إلى رواةِ الأناجيلِ من رواياتٍ عن حياةِ السَّيدِ المسيحِ الحقيقيةِ وبينَ ما تمَّ إدخالهُ من نظرياتِ بولس.

جميعُ من كانوا حولَ المسيحِ يؤمنونَ ويعتقدون أنَّهُ نبيٌّ وليسَ إلهاً ولا حتى ابناً للهِ :

أولاً : تلكَ الشَّهادةِ التي كانت أمامَ الجموعِ من اليهودِ عندما دخلَ المسيحُ إلى أورشليم :

«ولما دخلَ أورشليم ارتجتْ المدينةُ كلُّها قائلين مَن هذا، فأجابهم تلاميذُ المسيحِ والمؤمنون بهِ : «هذا يسوع النبي الذي من ناصرةِ الجليل».

متى« ٢١/١٠ - ١١»

ثانياً : لما أخذ المسيحُ يُذكّرُ اليهود باللهِ ـ عزَّ وجل ـ وتعاليمهِ ويعيبُ عليهم وكهنتهم ما أحدثوهُ من فسادٍ في تعاليمِ اللهِ التي أنزلها على موسى ومن تحريفهم للنصِ، أحسَ الكهنة بخطرِ المسيحِ، فلما هموا بالقبضِ عليهِ :

«فلما سمعَ رؤساء الكهنةِ والفريسيون أمثالهُ، علموا أنَّهُ إنَّما يتكلمُ عنهم، فهموا أن يمسكوه ولكنهم خافوا الجموع لأنَّهُ كانَ يعدُ عندهم نبياً».

متى«٢١/ ٤٥ ـ ٤٦»

ثالثاً : حتى بعدَ انتهاءِ رسالتهِ وصلبهِ -على زعمِ الأناجيلِ -، حيثُ كانَ اثنان من تلاميذه يسيران والحزنُ قد ملأ قلبيهم، حيثُ يذكر لوقا أنَّ المسيح قابلهم بعدَ محاولةِ صلبهِ، وهم يُعدون من صفوةِ تلاميذهِ وأقربهم إليهِ :

«فقالَ لهما ـ يسوع ـ ما هذا الكلامُ الذي تتحاورانَ فيهِ وأنتما سائران مكتئبان، فأجابَ واحدٌ منهما اسمهُ كليوباس: أفأنتَ وحدكَ غريبٌ في أورشليم ولم تعلمْ ما حدثَ بها، فقالَ لهما وما هو، قالا لهُ : ما يخصُ يسوعَ النَّاصري الذي كانَ رجلاً نبياً».

لوقا «٢٤/ ١٧»

فلمَ لم يعترضْ المسيح ـ عليهِ السَّلام ـ على قولهم هذا إن كانَ غيرَ صحيحٍ، فهذا إقرار منهُ أنّهُ ليسَ إلهاً.

رابعاً : بعد أن ارتفعَ المسيحُ إلى السَّماءِ استمرَ تلاميذهُ في دعوةِ اليهودِ إلى اللهِ ـ عزَّ وجل ـ ، فاستمعوا إلى بطرس وهو أحدُ تلاميذِ المسيحِ قائلاً :

«يا رجالَ إسرائيل، اسمعوا هذا الكلام : إنَّ يسوع النَّاصري، الرَّجلَ الذي أشيرُ لكم إليهِ من الله بالقواتِ والعجائبِ والآياتِ التي صنعها الله على يديهِ فيما بينكم كما أنتم تعلمون».

أعمالَ الرُّسل«٢/٢٢»

وهنا أطرح السُّؤال الآتي : هل هناك في البيبل «العهد الجديد» أيَّ جملةٍ يقولُ فيها المسيحُ« أنا الله».

فردَّ الجميع: لا.

الدكتور محمد : هل تقبل أن يكون إلهك ذلك الذي خرجَ من رحمِ امرأةٍ، وعلقَ بهِ من النجاساتِ، و تعالجهُ أمهُ في المهدِ كما يعالجُ أيُّ رضيعٍ.

قالَ القسيس«وهو مرتبكٌ» : لا... إنَّهُ لم يكن إلهاً في ذلكَ الوقتِ.

الدُّكتور محمد: متى صارَ المسيحُ إلهاً ؟

قالَ القسيس: بعدَ أن خرجَ من ماءِ المعمدان، ونزلَ عليه الروحُ القدس في صورةِ حمامةٍ، وهذا ما جاءَ في انجيلِ لوقا.

قالَ الدُّكتور محمد: إذا كانَ المسيحُ قد صارَ إلهاً بعدَ التعميدِ، ونزولِ الرُّوحِ القدس فإنَّ يوحنا المعمدان أولى بالألوهيةِ للأسبابِ التاليةِ :

أولاً : التعميد يعني أنَّهُ باركهُ وطهرهُ ولا شك أنَّ فاعلَ هذهِ الأعمالِ أفضلُ ممن وقعَ عليهِ الفعل.

ثانياً : إن كان المسيح قد حلَّ عليهِ روح القدسِ وكانَ عمرُ المسيح في ذلكَ الوقتِ ثلاثين عاماً، كما أثبتَ مرقس في إنجيلهِ «١٥/١»، فإنَّ الأناجيل تثبت أيضاً أن يوحنا قد حلَّ بهِ الروحُ القدسِ قبلَ ذلك بكثيرٍ من الزمانِ وهو في بطنِ أمهِ.

يذكر لوقا أن الملاك أتى إلى زكريا ـ عليهِ السَّلام ـ وبشرهُ بأنَّ اللّه سيرزقهُ بيوحنا وأنّهُ«يمتلئ من الروح القدس وهو في بطنِ أمهِ»

لوقا« ١٥/١»

وبالتالي فإنَّ يوحنا أولى بالألوهيةِ.

ثالثاً : المسيح يشهد ليوحنا بالفضلِ، فيقولُ فيما نسبهُ لهُ لوقا :

«جاءَ يوحنا المعمدان لا يأكلُ خبزاً ولا يشربُ خمراً، فقلتم إنَّ بهِ شيطاناً، وجاءَ ابن البشرِ ـ يسوع ـ يأكلُ ويشربُ فقلتم هو ذا إنسانٌ أكولٌ شريبٌ للخمرِ، محبٌ للعشارين والخطاة».

لوقا «٣٣/٧ - ٣٤»

وحاشا لرسولِ اللهِ أن يكونَ هكذا، ألا يعلمُ المسيحُ أنَّ شربَ الخمرِ ذهابٌ للعقلِ والمروءةِ والشَّرفِ وسبب لأبشعِ الجرائمِ، وهل المسيحُ لا يعلم تعاليمَ العهدِ القديمِ التي تبالغ في تحريمِ شربِ الخمرِ في سفرِ الأمثالِ :

«لمن الويلُ ولمن الشَّقاءُ ولمن الجراحاتُ من غيرِ علةٍ، لمن إظلامُ العينينِ، للذينَ يدمنونَ الخمرَ»

سفر الأمثال «٢٣ /٢»

«لا تكن من شريبي الخمرِ المهلكين أجسادهم»

أمثال « ٢٣ / ٤»

المسيحُ لم يكنْ شارباً للخمرِ، ولكن هذا ما أرادَ إسقاطهُ رواة الأناجيل على المسيحِ لإباحةِ شربِ الخمرِ، أيضاً حتى يصوروا المسيح على أنَّهُ شخصيةٌ سلبيةٌ، فالمطلوب من المسيحِ - كما أرادَ بولس - فقط أن يموتَ على الصَّليبِ ويفدي العالم بصلبه.

رابعاً : إنَّ المسيح عندما سألهُ اليهود عن المعجزاتِ، بأي سلطانٍ يفعلها؟ «أجابهم أنَّهُ مثلُ يوحنا، تماماً بنفسِ السُّلطانِ».

مرقس« ٢٨/١١»

لأنَّ يوحنا نبيٌّ كريمٌ متفقٌ على نبوتهِ عندَ اليهودِ، ويوحنا أكبرُ من المسيحِ بستةِ اشهرٍ فقط، ومع ذلك لم يقلْ أحدٌ أنهُ إلهٌ، وأيضاً المسيح لم يدّعِ أنَّهُ إلهٌ حيثُ شبهَ نفسهُ بنبيٍ، وهو يوحنا المعمدان.

«فقالَ لهم يسوع إنه لا يكون نبي بلا كرامةٍ إلا في وطنهِ وبينَ أقاربهِ وفي بيتهِ».

مرقس« ٤/٦»، ومتى«٥٧/١٣»

الشَّيخ الدُّكتور يسأل ثانيةً الأستاذ Abrigo : هل تعمدت.

أجابَ الأستاذ : نعم.

الدُّكتور : وهل حلَّ فيكَ الروح القدس بعد التعميد.

أجابَ الأستاذ : هكذا يثبت العهد الجديد bible .

الدُّكتور محمد : إذا أنتَ إلهٌ مثلُ المسيح، وهكذا كلُّ من يتعمد في المسيحيةِ لأنّهُ يحلُ بهم و حسبما يؤكد بولس (مؤسس المسيحية بعدَ المسيح) في جُلِ رسائلهِ :

«ووضعَ بولس يدهُ عليهم فحلَ روحُ القدسِ عليهم فطفقوا ينطقون بلغاتِ ويتنبّؤون».

أعمال«١٩/٦»

فإذاً كلُّ من يتعمد في المسيحيةِ يكونُ إلهاً، أوليسَ الرُّوح القدس هو ذاتُ الله، لأنّهُ الأقنوم الثالث من الثالوث المقدس.

واستمع إلى بولس وهو يؤكد هذه العقيدة لأهلِ كورنتوس فيقولُ لهم :

«أما تعلمون أنَ أجسادكم هي هيكل الرُّوح القدس الذي فيكم من الله»

رسالتهُ الأولى إلى كورنتوس« ١٩/٦»

فقالَ : نعم، هذا هو المعنى، وإن كنتُ لا أوافق.

الدُّكتور محمد : إنَّ العهد الجديد يثبت أنكم ستحاسبون العالم كلّهُ، إذاً فكلُّ المسيحيون آلهةٌ.

دليلٌ آخر : رسالة بولس إلى أهلِ كورنتوس، حيثُ يوبخ المسيحيين :

«أما تعرفون أننا سندينُ الملائكةِ، فبالأحرى نقضي في أمورِ هذهِ الحياةِ»

رسالتهُ الأولى إلى كورنتوس« ٣/٦»

أليستْ هذه أدلةً عل أنّكم آلهةٌ، فيا ترى كم عدد الآلهة حتى الآن ؟

دليلٌ آخر: هل تأكل من العشاءِ المقدس، أو الأخير، أو السِّري في الكنيسة؟

قالَ : نعم.

قالَ الدُّكتور محمد : أولستم تعتقدون أنَّ الله ـ عزَّ وجل ـ حَلَ في جسدِ المسيح.

قالَ: نعم.. أرادَ الله أن يعرفنا بذاتهِ وبقربهِ منا فتجسدَ لنا في صورةِ يسوع المسيح.

قالَ الدُّكتور : فإنَّ الله – استغفره- كما تذكر الأناجيل قد حلَّ في كلِّ مسيحي.

أولاً : في رسالةِ يوحنا الأولى يقول :

«فكلُّ من اعترفَ بأنَّ يسوع هو ابنُ اللهِ فإنَّ الله يثبتْ فيهِ وهو في الله ».

رسالة يوحنا الأولى « ١٥/٤»

ثانياً : في رسالة بولس إلى أهلِ كورنتوس يؤكد :

«أما تعلمونَ أن أجسادكم هي أعضاءُ المسيحِ»

رسالتهُ إلى أهلِ كورنتوس«١٥/٦»

ثالثاً : في رسالةِ بولس يجهرُ بهذا الاعتقادِ :

«فإنكم هيكل اللهِ الحي كما قال الله إني سأسكنُ فيهم».

رسالتهُ إلى كورنتوس«١٦/٣»

هنا يسأل الدكتور محمد : عندما حلَ الله في المسيح هل حلَّ بكليتهِ أم حلَّ جزءٌ من الإلهِ فيهِ ؟

ويا ترى هل تغيرَ شيءٌ في المسيح بعد الحلولِ، سواء في صفاتهِ أم في أفعالهِ؟

قالَ القسيس : نعم.

الدكتور محمد : كلامك ـ إذا سمحت ـ غيرُ صحيحٍ، لأنَّ المسيح ظلَ إنساناً آدمياً ينامُ ويخافُ ويبكي حتى بعد التعميد وحلولِ الروح القدس في صورةِ حمامةٍ، فالمسيح كان يظمأ فيشرب ثمَّ يثقلُ بهِ الطّعام فيذهب ليبول ويتغوط، ويخاف فيهرب ـ«كما جاءَ في النُّصوص الإنجيليةِ» ـ، عندما أرادَ اليهود أن يمسكوه، أيضاً يعترف بالعبوديةِ للهِ ـ عَزّ وجل ـ فيصلي ويصوم ويتعبد ، ويشعر بالبلاءِ فيستغيث، ويقول وهو على الصَّليب«إلهي، إلهي، لماذا تركتني»، وهذا في آخرُ أيامهِ، ويجزعُ عندَ الجوعِ حتى يلعن الشَّجرة التي لم يجدْ عليها ثماراً في

غيرِ وقتِ طرحها ـ راجع مدخل الكتاب ـ، فلو كانَ الإلهُ حالاً فيه لباركها فتثمر لهُ.

وإن قلتم لا ، فمن حقِّ كلَّ عاقلٍ أن يقولَ، فما فائدةُ هذا الحلول وما قيمتهُ وما أثرهُ ودليلهُ، وإن قلتم دليلهُ الآياتِ والمعجزاتِ التي تمتْ على يديهِ، فإنَّ كلَّ الأنبياءِ والمرسلين فعلوا ما هو أكبرُ وأكثرُ منهُ.

إنَّ العهدَ القديم قد أكدَ أنَّ اللّه جلت قدرتهُ يستحيلُ أن يحلَ في إنسانٍ، وأفسدَ بذلك وأبطلَ كلَّ القائلين بالحلولِ سواءٌ كانوا وثنين أم غير ذلك.

«فقالَ الرَّبُّ لا تحلُ روحي على إنسانٍ أبداً لأنَّهُ جسدٌ»

سفر التكوين«٦/٣»

الدكتور محمد يسألُ القس : إذا أردتَ الصَّلاة فلمن تُصلي.

قال : أصلي للمسيح على أنَّهُ هو اللّه.

قالَ الدكتور : وهل كانَ المسيح يصلي لذاتهِ أم يصلي للّهِ ـ تباركَ وتعالى ـ.

القس : بل كانَ يُصلي للّهِ.

الدُّكتور : فلماذا لا تصلي كما صلى المسيح ـ عليهِ السَّلام ـ وهل أمرَ المسيحُ أحداً من المؤمنينَ برسالتهِ أن يصلي لهُ، وقالَ لهم اعبدني واسجدوا لي ؟

قالَ الأستاذ Balmori : بل أمرَّ بالسُّجودِ للّهِ وحدهُ وعبادتهُ.

الدكتور محمد : أولستم الآن تصلون لآلافِ القديسين والقديساتِ في العالم؟

قالَ السَّيد Abrigo : نعم نصلي لهم ونسألهم العون ولكن ليسَ على أنهم آلهةٌ بل كوسطاء.

ـ الدُّكتور محمد : أوليسَ الروح القدس وهو جوهرُ ذاتِ اللّه ـ على زعمكم ـ في هؤلاء القديسين، وكانوا يأتونَ ببعضِ المعجزاتِ ـ على حدِّ قولِ الأناجيل ـ، فلماذا لا تغلونَ فيهم ؟ أليسَ في هذا عبادةٌ لغيرِ اللّهِ وشركٌ ؟

يتابع الدُّكتور محمد : هل هناكَ بيتٌ يخلو من صنمٍ من حجرٍ أو من حديدٍ

أو...، للقديس نينو. وتتم الصَّلاة لهُ، وطلبُ الخيرِ والعونِ ؟.

- قالَ لأستاذ : بل كلُّ منازلنا مباركةٌ بهِ ونصلي لهُ.

- قالَ الدُّكتور من هو ذا القديس نينو ؟

- قالَ الأستاذ Balmori : هو الإله يسوع.

- الدُّكتور : لكنكم تطلقونَ عليهِ اسمَ القديس نينو فهل المسيح قديس أم إلهٌ ؟ فأكثرُ المسيحيين لا يعلمون.

وإذا كانَ هذا الصَّنم للإلهِ يسوع كما تعتقدون، أما علمتم أنَّ عملَ الأصنامِ وعبادتها تحتَ أيِّ اسمٍ أو معنى، كفرٌ باللّهِ - عزَّ وجل -، كما هو ثابتٌ في العهدِ القديمِ الذي تؤمنونَ بقداستهِ، إذ هي محرمةٌ أعظمَ التحريمِ وملعونةٌ هي وصانعها، وكلٌّ من يقدسها ليسَ لهُ من اللّهِ مغفرةٌ.

في سفرِ الحكمةِ :

«أما الذين سموا أعمالَ أيدي الناس آلهةَ الذَّهبِ والفضةِ تماثيلُ والحجرُ الحقيرِ فهم أشقياءٌ ورجاؤهم في الأمواتِ، يعتني بنقشها ويصورها على شكلِ إنسان، ويجعلُ لها مقاماً يليقُ بها ويضعها في الحائط، ويتحفظ عليها حتى لا تسقط لعلمهِ بأنها لا تقومُ بمعونةِ نفسها، ثمَّ يتضرعُ إليها ولا يخجل، أيخاطبُ من لا روحَ لهُ، فيطلبَ العافية ويسأل الميتْ الحياة».

سفر الحكمة «٨/١٣»

أيضاً إليكم ما وردَ في الوصايا العشر التي وردتْ في التوراةِ من العهدِ القديمِ :

«لا يكن لكَ آلهةٌ أخرى أمامي، لا تصنعْ لكَ تمثالاً منحوتاً ولا صورةً مما في السَّماءِ وما في الأرضِ، لا تسجد لهن لا تعبدهن».

سفر الخروج «٢٠ / ٣»، وسفر الاشتراع «٥ / ٧»

يضيفُ الدُّكتور : أرأيتم أنَّ البيئةَوالعادةَ والنشأةَ التي تعودَ عليها الإنسان تعميهِ عن كثيرٍ من الحقائقِ.

قالَ الأستاذ Abrigo : إنَّ هذهِ الفقرات لم ترعِ انتباهي لمثلِ هذا التحريم، أظنُ أنَّها العادة.

الدّكتور محمد : أريدُ أن أسألكَ سؤالاً : كيفَ تفسرُ وجوُد عباراتٍ أنَّ المسيح ابنُ اللّهِ في الأناجيل التي لديكم.

قالَ الأستاذ Abrigo : المسيحُ ابنُ الله أي صادر عن اللّهِ.

الدُّكتور محمد : أوليسَ كلُّ الأنبياءِ والمرسلين، صادرين عن اللّهِ جلتْ قدرتهُ.

قالَ الأستاذ : لكن هؤلاء لم يردْ في حقِّ أحدٍ منهم أنَّهُ ابنُ اللّهِ.

الدُّكتور : باعتباركَ مفسراً للبيبل ألم تقرأ في العهدِ الجديدِ أنَّ آدم ابنُ الله : «آدم ابنُ اللّهِ»

لوقا«٣ / ٣٨»

ألم تقرأ في العهدِ القديمِ أنَّ سُليمان ابنُ اللّهِ، كما نسبَ سفر أخبار الأيام إلى الله، قولهُ في سليمان :

«هو يكونُ لي ابناً وأنا أكونُ لهُ أباً وأقرُ عرشَ ملكهِ على إسرائيل إلى الأبدِ» .

سفر أخبار الأيام«٢٢ / ١٠»

وكما وردَ : أنَّ إسرائيل ـ يعقوب ـ ابنُ الله البكر كما وردَ في سفرِ الخروج.

«إسرائيل ابني البكر»

خروج«٤ / ٢٢»

وهذا الكلامُ إن صحَ فإنه يعني النَّاحية المجازية، وهي القربُ الشَّديدُ من اللّهِ.

ليسَ الأنبياء فقط بل إنَّ كلَّ مسيحي هو ابنٌ للّهِ، كما نصتْ كلُّ الأناجيل ونسبتهُ للمسيحِ، وكثرتْ في ذلك الشَّواهد :

«لا تدعو لكم أباً على الأرضِ فإنَّ أباكم واحدٌ وهو الذي في السَّماوات».

متى«٢٣ / ٩»

أيضاً «لتكونوا أبناءَ أبيكم الذي في السَّماواتِ»

متى«٥ / ٤٥»

«ودعا يسوع تلاميذهُ الأثني عشر وأعطاهم سلطاناً يطردونَ بهِ الأرواحَ النَّجسةِ، ويشفونَ الناس من كلِّ مرضٍ»

متى«١٠ / ١»

وفي يوحنا «اشفوا المرضى وأقيموا الموتى»

يوحنا«٦ / ٣٨»

«لأنَّ الرَّوح يجعلكم أبناءَ الله، وهذا الرُّوح يشهد أننا أبناءُ الله»

رسالة بولس إلى رومة«٨ / ١٥ - ١٦»

«فلما وصلا إلى السَّامرة - تلميذا المسيح- صليا لهم حتى ينالوا الرُّوح القدس، لأنَّهُ ما كانَ نزلَ بعد على أحدٍ منهم، فوضعوا أيديهم عليهم، فنالوا الرَّوح القدس»

أعمال« ٨ / ١٥ - ١٨»

إنَّ عبارة ابن الله نُقلتْ لكُتّابِ الأناجيلِ، ولكن بولس وتلاميذهُ من بعده استفادوا من هذا التعبيرِ الذي توضحهُ فقرة أخرى من الأناجيل :

«وأما كلُّ الذينَ قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولادَ الله، أي المؤمنين باسمهِ، الذين ولدوا ليسَ من دم، ولا من مشيئةِ جسد، ولا من مشيئةِ رجلٍ، بل من الله»

يوحنا« ١ / ١٢ - ١٣»

القس Danilo : لكن هذه ميزةٌ تخصُ يسوع دونَ غيرهِ لأنَّهُ ليسَ من هذا العالم كما يقول هو عن نفسهِ في البيبل«العهد الجديد»

الدُّكتور محمد : ليستْ هذه خاصةٌ بالمسيحِ، فقد قالَ بذلك أيضاً في حقِّ المسيحيين وهو يُصلي:

«إني أعطيتهم كلمتكَ وقد أبغضهم العالم لأنَّهم ليسوا من العالم كما أني لستُ من العالم»

يوحنا«١٧ / ١٤»

الأستاذ Balmori : فما تقول فيما أثبتهُ يوحنا في إنجيلهِ عن يسوع : «فقالَ لهم يسوع الحق أقولُ لكم، قبلَ أن يكونَ إبراهيم أنا كائنٌ»

يوحنا«٨ / ٥٨»

الدُّكتور محمد : إنَّ هذه الفقراتِ أضلَ بسببها ملايين البشر على مرِّ العصور منذ كتابة يوحنا لإنجيلهِ في بدايةِ القرنِ الثّاني الميلادي، فالحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولهُ محمّداً صلى الله عليه وسلم لينقذَ الإنسانيةَ من هذا.

- هذه الفقرة إما أن تكون قد أُدخلتْ إلى الأناجيلِ لمصلحةِ إثباتِ نظريةِ الألوهيةِ، أو إن صحتْ فإنها لا تفيد ألوهية المسيح، وإنّما تعني أنّهُ في علمِ الله الأزلي أن الله - جلَ جلالهُ - سيخلقُ عيسى بعدَ خلقِ إبراهيم وموسى وداود...، فالله - جلَ جلالهُ - إن لم يكنْ عالماً، لكانَ ذلك نقصاً في حقِّ الإلهِ والنقصُ محالٌ على الله.

قالَ الأستاذ : هذا تأويل عظيمٌ، ولكن ألا تعتقد أنَّ هذا الكلام يحتملُ معاني أخرى.

قالَ الدُّكتور : نعم، ولكن ماذا تقولُ أنتَ فيما أثبتهُ العهد القديم في حقِّ سُليمان بن داود. عندما يقول سليمان :

«أنا كنتُ مع الله من الأزلِ قبلَ خلقِ العالمِ وكنتُ ألعبُ بينَ يديهِ في كلِّ حينٍ وكنتُ خالقاً عندهُ»

سفر الأمثال« ٨ / ٢٢ - ٣٠»

فإن صحَ عن سُليمان«وهذا مستحيلٌ»، فهو أعظم من قول المسيح وهو أحقُّ بالألوهيةِ كما ترى.

ولكن أسألكَ : هل تكلمَ المسيحُ في شيءٍ من هذا في حقِّ نفسهِ.

أجابَ الأستاذ : لا.

الدُّكتور : بل ما يؤكد ذلك أيضاً قولُ المسيح :

«إني صاعدٌ إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»

يوحنا« ٢٠ / ١٧»

إنَّ لفظَ الآب الذي كانَ شائعاً في ذلكَ الوقتِ لا يعني الأبوة في شيءٍ، وإنَّما يعني الخضوع، والعبودية، والالتزامُ بتعاليمِ الله - عزَّ وجل -، ولقد بينَ المسيحُ - عليهِ السَّلام - بوضوحٍ في مواقفَ كثيرةٍ، إنَّ كلَّ من يعملُ بمشيئةِ الله - عزَّ وجل - فهو ابنُ الله و لذلك نجدهُ يقولُ لليهودِ :

«أنتم تعملونَ أعمالَ أبيكم»

يوحنا«٨ / ٤١»

«أنتم من أبٍ هو إبليس وشهواتُ أبيكم تبتغون أن تعملوها»

يوحنا« ٨ / ٤٤»

فهل اليهود الذينَ خاطبهم المسيحُ أبناءُ الشَّيطانِ... ؟

إنَّ أولَ من أسسَ لهذا التعبيرِ الخاطئ هم اليهود، حيثُ أطلقوا على أنفسهم أنَّهم أبناءُ اللّهِ وأحباؤهُ وسجلوا ذلك في كتبهم، فظلَّ هذا اللفظ على ألسنتهم حتى بعدَ اعتناقهم المسيحيّةِ، ولكن - كما ذكرنا سابقاً - استفادَ من هذا اللفظِ «بولس» في دعمِ نظريتهِ أنَّ عيسى ابنُ الله أي من نفسِ جوهرهِ.

في العهدِ القديمِ استعملَ هذا اللفظ :

«ولما ابتدأ الناس يكثرون على وجهِ الأرضِ وولدَ لهم بناتٌ، رأى بنو الله بناتِ الناس أنهنَّ حسناتٌ»

سفر التكوين«١٦ / ١ - ٢»

«كلُّ أرضٍ عامرةٌ بأبناءِ الله»

التكوين«١٢ / ٧»

وإلى غيرِ ذلك من فقراتٍ صادرةٍ عن كتبٍ ليستْ من الله - عزَّ وجل - في شيءٍ، ولكن لها دلالاتها على استعمالِ هذا اللفظِ في ذلكَ الوقتِ، فأبناءُ الله هم الذينَ يعملون بمشيئتهِ

يقولُ الدُّكتور متسائلاً : أوليسَ من العجبِ أن ينزهَ رجلُ الدِّين عن الولدِ ولا يُنَزِّهَ الله - تعالى -، فيقولون إنَّ المسيح ابنُ الله ؟

ففي تعاليمِ البيبل ما ينصُ على أنَّهُ أفضل للرجلِ أن لا يتزوج، وللمرأةِ أن يمسها رجلٌ، كما هو الحال في أغلبِ رسائلِ«بولس» التي أمرَ بها أتباعهُ، وأنَّ هذا الأمرُ لا يقدرُ عليهِ إلا القديسون من رجالِ الدِّينِ لأنَّهم منزهون عن دنسِ الزواج.

وهنا لنا وقفةٌ: لو كانَ صحيحاً قولُ بولس، فإنَّهُ بذلك يسيءُ إلى الأنبياءِ والمرسلين، فقد بلغَ أنَّ سليمان تزوجَ بسبعمائةِ امرأةٍ.. كما نسبهُ العهد القديم إلى نبي الله سُليمان، ما نسبَه إلى غيرهِ.

فلماذا لم يُنزه الله - عزَّ وجل - أنبياءهُ ورسلهُ من هذا الدَّنسِ وهم صفوةُ الخلقِ ويقومون بنشرِ الرِّسالاتِ، ولولاهم لما كانَ هناكَ رجالُ دينٍ ولا قديسون. كذلك نبي اللهِ إبراهيم - عليهِ السَّلام - أبو الأنبياء، حيثُ كانَ من ذريتهِ إسماعيل وإسحاق.

الدُّكتور محمد : في أيِّ زمنٍ اكتشفتْ حقيقةُ الثالوث المقدسِ«الآب والابن والروح القدس»، وهل من أهلِ الأديان السَّماويةِ التي سبقتْ المسيح من يعرف هذهِ النظريةِ، وهل كانَ الأنبياء والمرسلون يعرفونها، أم أنَّ هذه الحقيقة لم تظهرْ إلا في زمنِ المسيحيةِ بعدَ رفعِ السَّيدِ المسيحِ بـ ٧٠ عاماً.

أطالَ النظر " الأستاذ Danilo " ثمَّ قال : بل كانوا يعرفونها لأنها حقيقة اللاهوتِ منذُ الأزلِ.

الدُّكتور محمد : لماذا لم يخبرْ الأنبياءَ من قبلُ كلُّ الأممِ التي بُعثوا فيها بهذه الحقيقةِ، ولماذا لم يُنزل الله - عزَّ وجلِ - هذا في الكتبِ السَّماويةِ التي أنزلها على تلكَ الأممِ من قبلُ ؟

وهل يجوز أن يجهلَ الأنبياء والمرسلون كنوح وإبراهيم و... معرفة هذهِ العقيدة اللاهوتية التي يجب أن يؤمنوا بها ويدعونَ الناس إليها.

قالَ الأستاذ : لا، ولكنها ليستْ غريبةً فقد آمنَ القدماءُ المصريون بثالوثٍ مقدس يتمثلُ في أوزريس وإيزيس وحورس، وهؤلاء هم«الأب والأم والابن»، أيضاً الهندوس«ابراهما وفشنوا وشيفا»... واليونان....

ردَّ الدُّكتور : إذاً المسيحية باعترافكَ تأثرتْ بهذهِ المعتقداتِ الوثنيةِ، وكأنَّكَ تقول من غير قصدٍ إنَّ المسيحية ليستْ ديانةً سماويةً، فإنَّ تلكَ المعتقداتِ لا دليلَ ولا سند لها، وهي من اختراعِ البشرِ أنفسهم. والحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولهُ محمّداً صلى الله عليهِ وسلم، ليبينّ للناسِ أنَّ هذه ضلالةٌ ولا يجوز الإيمانُ بها، وحتى لا يكونَ للبشرِ حجةٌ في جهلهم.

حتى في زمنِ يوحنا المعمدان ـ عليهِ السَّلام ـ أي زمن المسيح لم يُعرفْ هذا الثالوث من قِبَل الناس، والبيبل «العهد الجديد أو مجموعة الأناجيل» تثبت ذلك.

وحتى المؤمنون بالمسيحِ في عصرهِ لم يعرفوا هذه العقيدة وإنَّما ظهرتْ بعدَ المسيحِ وفي أواخرِ القرنِ الأول الميلادي وبالتحديدِ في آخرِ أيامِ بولس والشَّاهد كما جاء في أعمالِ الرُّسلِ في الأناجيل، أنَّ بولس عندما قابلَ تلاميذ المسيح بعدَ رفع المسيحِ سألهم عن الرُّوح القدس«الأقنوم الثالث من الثالوثِ المقدسِ الآب والابن وروح القدس» أجابوهُ :

«وصلَ بولس إلى أفسس، فوجدَ فيها بعضَ التلاميذِ، فقالَ لهم : هل نلتم الرُّوحُ القدس عندما آمنتم، فقالوا لهُ : لا. ولا سمعنا حتى بأنَّهُ يوجدُ روحُ قدس»

أعمال الرُّسل« ١٩ / ٢»

فإذا كانَ المعاصرون للسيدِ المسيح أثناءَ حياتهِ لم يسمعوا بهذا الثالوث، وحتى لم يصلهم شيء من هذا من قبَل موسى ـ عليهِ السَّلام ـ إذ إنَّ المسيحَ بعثَ في بني إسرائيل، واليهود حتى اليوم لم يسمعوا بهِ، فكيفَ عَلِمَ بهذا بولس الذي زعمَ أنَّهُ تلقاهُ بالوحي من السَّيد المسيح بغيابِ أيِّ شاهدٍ على ذلك.

مما يدلُ على أنَّ هذه العقيدة بدعةٌ في المسيحية، فمن الذي أسسها وابتدعها، وهل جاءَتْ في الإنجيل الذي انزلهُ اللهُ -سبحانهُ- على المسيحِ، حتى الأناجيلِ الحاليةِ نجدها قد وضعتْ فيهِ بشكلٍ غير مدروسٍ من قبلِ كتبتهِ، حيثُ نجدُ الشَّيءَ ونقيضهُ في نفسِ الموقع[11].

قالَ الأستاذ Balmori: نعم، أنا اعترفُ أنَّهُ لم تردْ كلمةُ ثالوث في الكتابِ المقدسِ، وكانَ أوّلُ من صاغها واستعملها القديس اثناسيوس في مجمعِ نيقية في القرن الرَّابعِ الميلادي، ثمَّ أكدها وأشاعها القديس اغسطينوس في القرن الخامس الميلادي، وأصبحَ منذ ذلكَ الوقتِ قانونَ الإيمانِ وعقيدة الكنيسة إلى يومنا هذا.

الدُّكتور محمد : أخي البروفيسور، لقد سجلَ البيبل «العهد القديم والعهد الجديد» في كلِّ فصولهِ سواءٌ الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى، أم ما يُنسبُ إلى الأنبياءِ كداود وسُليمان وغيرهم ...، حتى يوحنا المعمدان بن زكريا وعيسى ابن مريم ـ عليهم السَّلام ـ إنَّ هؤلاء وغيرهم دعوا جميع الأمم والشُّعوبِ إلى توحيدِ اللهِ تعالى وإليكَ بعضُ الشَّواهد من البيبل :

أولاً : هذه الوصايا العشر المشهورة والمتفق عليها عندَ اليهودِ والمسيحيين إذ تقول :

(اسمعْ يا إسرائيل إنَّ الرَّبَّ إلهنا ربٌّ واحدٌ، فأحبب الرَّبَّ إلهكَ بكلِّ قلبكَ وكلِّ نفسكَ وكلِّ قدرتكَ).

تثنية الاشتراع «٦ / ٤ - ٥»

ثانياً : لقد علَّمَ المسيح ـ عليهِ السَّلام ـ تلاميذهُ وأتباعهُ وغيرهم هذهِ الحقيقة، أعني التوحيد لا التثليث.

فعندما سألهُ اليهود عن أولِ الوصايا :

---

[11] راجع الفصل الثاني من الكتاب.

أجابَ يسوع أنَّ أولَ الوصايا كلّها «إنَّ الرَّبَّ إلهنا ربٌّ واحدٌ، فأحببْ الرَّبَّ إلهكَ بكلِّ قلبكَ..»

مرقس«١٢ / ٢٩ - ٣٠»

أيضاً يقولُ المسيح في موضعٍ آخر :

(للربِّ إلهكَ تسجدُ ولهُ وحدهُ تعبد)

لوقا «٤ / ٨»

فهل هناكَ ما يشيرُ إلى التثليث.

ثالثاً : في سفرِ أشعيا يثبت عن الله - عزَّ وجل - قولهُ :

(أنا الأولُ وأنا الأخرُ لا إلهَ غيري)

سفر اشعياء «٤١ / ٤»

فأينَ هنا الأشخاصُ الثلاثة الذينَ تؤمن بهم المسيحيةُ، وتؤمنُ بأنّها حقيقةٌ قديمةٌ قبلَ الخلقِ، فلا أثرَ لهذهِ العقيدةِ في البيبل ولا دليلَ عليها، وهي تتعارض مع تعاليمِ الله السَّماوية التي أنزلتْ على الأنبياءِ.

يُتابع الدُّكتور متسائلاً :

لماذا انفردَ «مَتى» بذكرِ هذا القولِ وتلكَ الحقيقة، دونَ غيرهِ من باقي كتبةِ الأناجيل ؟ حيثُ يقولُ على لسانِ المسيحِ: «اذهبوا وعمدوا باسمِ الآب والابن والرُّوحُ القدس، وهو ما تبنتهُ الكنيسة، أنَّ الله في ثلاثةِ أشخاصٍ وأنَّ ليسَ لأحدٍ حظٌّ في نعيمِ الآخرةِ إلا لمن يؤمن بها ؟. مع العلم أنَّ كتبةَ الأناجيلِ ذكروا من الأمورِ ما هو أصغر شأناً وأقل قيمةً من هذا الرُّكن الأساسي في الإيمانِ.

وهنا أقولُ : أتراهم لم يسمعوا بهذا القول حتى لم يدونوه، أم سمعوا بهِ وظنوا بأنَّهُ ليسَ ذا قيمةٍ ودونوا ما هو أعظمُ كركوبِ المسيح على أتانةٍ وجحشٍ، أو كما روى غيرهُ بأنَّهُ ركبَ جحشاً فقط أو أتانةً فقط، كما هو الخلافُ الحاصلِ بينهم، أم أنَّهم خانوا أمانةَ النقلِ في أهمِ ركنٍ من عقيدةِ المسيحية.

أم ترضون بأن يكونَ المسيحُ - عليهِ السَّلامِ - مخطئاً مناقضاً لأقوالهِ وتعاليمِ ربِّهِ - عزَّ وجل - على التوحيدِ المطلقِ، ولا ترضونَ أن يكونَ «متى» هو الذي أخطأ تحتَ تأثيرِ هوىً أو نظريةٍ، ونحنُ نعلمُ أنَّ العصرَ الذي أعقبَ رفع السَّيدِ المسيح كانَ مكتظاً بالهرطقاتِ والوثنيةِ، فمنهم من آمن بالثالوثِ «الله، مريم، عيسى» ومنهم من قالوا بأنَّ الزهرة إلهُ السَّماءِ، ومن يقرأ رسائلَ بولس وأعمالَ الرُّسل يقفُ على الكثير منها حتى إنَّ الكنائسَ كانتْ تُحاربُ بعضها البعض لاختلافِ العقائدِ فيما بينها.

وهنا يسألُ الدُّكتور: هل لكم أن تحدثونا عن الأقنوم الثالث (الروحُ القدس).

يرد القسيس : هو روحُ الله، لأنَّهُ إلهٌ حي، فلما كانَ الله موجوداً بذاتهِ أعلنَ عن ذاتهِ مسمياً نفسهُ بالآبِ وحيثُ أنَّهُ إلهٌ ناطقٌ فأعلنَ مسمياً نفسهُ الكلمة«الابن» ولما كانَ حياً أعلنَ مسمياً نفسهُ الرُّوح القدس.

يردُ الدُّكتور محمد : أنتَ الآن تناقضُ نفسكَ وتريدُ أن تقولَ إنّ الثلاثة صفاتٌ، وليستْ أقانيم لأنَّ لفظَ أقانيمٍ يعني أشخاصاً، ورغمَ هذا إذا كانت الأقانيم صفاتٍ مع أنَّ هذا مخالفٌ لمعنى الأقنوم، فلماذا اقتصرتْ الأقانيم الصِّفاتِ على ثلاثةٍ ولم تكن أكثر، أوليستْ صفةُ القدرةِ والعلمِ والقدمِ صفةً مستقلّةً عن صفةِ الحياةِ أو الكلامِ، وهناكَ صفاتُ الإرادةِ والمشيئةِ و...

في إنجيلِ لوقا«١١ / ١٣» يقول:إنَّ الروح القدس «هبةٌ من الله» والمفارقةُ بينَ «الهباتِ الطَّيبةِ» التي يعطيها الآباءِ الشِّريرون والروح القدس الذي يمنحهُ الله للمؤمنين، تستبعد كلية فكرةِ وجودِ أيّ شخصيةٍ للروح.

ولم يتم تطويرُ النَّظريةِ المتعلقةِ بهذا الرُّوح القدس إلا سنة ٣٢٥ م. ولذلك لم تحدد أو تعرف، ولم يُعلنْ عن الأقنوم الثالث للثالوث المشترك في المادةِ والزمنِ مع الآب والابنِ إلا في سنة ٣٨٦ م في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينيةِ.

ثمَّ يأتي مفهوم البروتستانت عن الرُّوح القدس، والذي يملؤن به الناسِ في اجتماعاتهم، وهم في ذروةِ انفعالهم ونشوتهم، خلالَ خطاب ناري يلقيهِ خطيبُ عالم، فيعتقدونَ أنَّهم ولدوا من جديدٍ، وبعدها بقليلٍ يتراجعُ كثيرٌ منهم، ويرجعونَ كما كانوا من قبلُ خطائين مجرمين.

إن امتلاء المتعمدين بالروح القدس في الكنيسةِ عندَ ولادتهم لم يمنعهم من ارتكابِ الجرائمِ والمحرماتِ، وإنهُ على حد قولهم ينزلُ على البشرِ ويقدسهم، ثمَّ يسمح لهم بعدئذٍ بالوقوعِ في الخطأ والكفرِ والزندقةِ، ويتركهم لكي يقترفوا الحروبَ المهلكةِ والمذابحِ كما نرى الآن في العالم.

والسؤال : هل يستطيعُ الشَّيطان إغواء الإنسانِ المملوء بالروحِ القدس؟

القرآن واضحٌ في هذهِ النُّقطةِ :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

الحجر - ٤٢

في سفرِ الأعمالِ والذي تؤمنُ بهِ الكنائسِ، أنَّهُ على كلِّ لاتيني أو يوناني أو حبشي مُعَمد أن لا يصبحُ نقياً من الآثامِ فحسب، بل أيضاً عالمَ لغاتٍ ونبياً مثلُ عيسى المسيح متنوّعَ المواهبِ والنتيجة إذا كانتِ الروحُ القدس تطهرُ المسيحيين المتعمدين وتملؤهم من اللهِ نفسه - إذ أن الأقنوم الثالث مع الله والمسيح كما تزعمون - فمن حقِّ المسيحيين أن يَدَّعوا أنَّهم مؤلهون مقدسون - كما أسلفنا -

يتابعُ الدُّكتور محمد فيقول: إذا كانتِ الأقانيمُ الثلاثةُ هي صفاتٌ لجوهرٍ واحد وهو الإله - كما أسلفتم - فهذا يعني أنَّ إلهَ العالمِ عُذّبَ وضُربَ ولُعنَ وعجزَ عن فكاكِ نفسهِ، وكانَ قبلَ أن يُقبضُ عليهِ يخافُ كثيراً من أعدائهِ ويهرب منهم، ويستغيثَ بإلهٍ أعظم.... - حسبما أجمعتْ عليهِ الأناجيلِ -، وهذا يعني أيضاً : أنَّ إلهَ العالمِ بعدَ أن ضُرِبَ وعذب على يدِ أعدائهِ صُلبَ ثمَّ مات - كما تزعمون - على الصَّليبِ وقبرَ في باطنِ الأرضِ ثلاثةَ أيامٍ، وكانَ العالمُ في ذلكَ الوقتِ يسيرُ بلا إلهٍ.

وهذا ما لا يقولُ بهِ إلا الملحدون والعلمانيون والطّبيعيون الذينَ وجدوا في هذهِ المعتقداتِ مالا يقبلهُ العقل.

وإذا كانتِ الأقانيم الثلاثة صفاتٍ لجوهرٍ واحدٍ وهو الإله فإنَّ هذا يُبطلُ قولَ مرقس في إنجيلهِ : أنَّ المسيح بعدَ أن صعدَ إلى السَّماءِ جلسَ عن يمينِ اللهِ.

أيضاً هل يجوزُ أن يكونَ الإله لا يعلمُ الغيبَ أو لا يدري ما يدورُ حولهُ ؟

قالَ الأستاذُ Abrigo : لا ، بل يعلمُ كلَّ شيءٍ، كيفَ وهو خالقٌ للكونِ ؟

قالَ الدكتور محمد : إنَّ مرقس نسبَ في إنجيلهِ أنَّ المسيح لا يدري ما يدورُ حولهُ، فيحكي لنا :

«إنَّ امرأةً مستْ ثيابَ المسيحِ، فأحسَ المسيحُ بذلك فسألَ تلاميذهُ، قائلاً : من مسَّ ثيابي، فقالَ تلاميذهُ، ترى الجمعَ يزحمكَ وتقولُ من مسني».

مرقس«٥ / ٣٠ - ٣١»

وأما عن كونهِ لا يعلمُ الغيبَ ولم يطلعهُ عليهِ الله - عزَّ وجل -، فقد شهدَ بذلك المسيح نفسهُ :

«وأما ذلكَ اليوم وتلكَ السَّاعة فلا يعلمها أحدٌ ولا ملائكةُ السَّماءِ إلا الله وحدهُ»

مرقس«١٣ / ٣٢»

وتلكَ الفقرةِ مكررةٌ في إنجيلِ لوقا في النُّسخةِ اليسوعيةِ، لكن في النُّسخِ الجديدةِ التي كُتِبتْ منذُ قرنٍ لا توجد تلكَ الفقرةِ فقد حُذفَتْ قصداً لأنَّ بعضَ رجالِ الدِّين في الكنيسةِ رأوا أنَّ تلكَ الفقرةِ منافيةٌ لألوهيةِ المسيحِ، حيثُ أنها تنفي القدرةِ والعلم عنهُ وهي مؤيدةٌ لفرقةِ أيريناوس.

فكيفَ يكونُ إلهٌ أو كانَ الله حالاً فيهِ، وما قيمةُ هذا الحلولِ وما أثرهُ، وكيفَ يكونُ إلهاً وهو يثبتْ العلمَ لإلهٍ غيرهُ.

وهنا يسأل الدُّكتور : هل سمعتَ عن إلهٍ ينفي الصَّلاحَ عن نفسهِ ويثبتهُ لغيرهِ؟

قالَ الأستاذ : لا !.

الدُّكتور : عندما دنا أحدهم من المسيحِ وقالَ لهُ : «أيُّها المعلمُ الصَّالح».

متى «١٩ / ١٦»

«فأجابهُ المسيح : لماذا تدعوني صالحاً، ليسَ أحدٌ صالحاً إلا واحداً وهو الله».

متى « ١٩ / ١٧»

عبارة فيها تواضعٌ من السَّيدِ المسيحِ ولكنها شهادةٌ منهُ بأنهُ ليسَ إلهاً، إذ يستحيل على الإلهِ أن ينفي الصَّلاحَ عن نفسهِ.

الدُّكتور يسأل : هل يعقل أنَّ إلهاً يهربُ من أعدائهِ، ولا يستطيعُ الدِّفاعَ عن نفسهِ، بل يقفُ بينَ أيديهم ذليلاً، يُضرَبُ و يُشتمُ ويُبصَقُ عليهِ ويقذفُ ويُسبُ عليهِ ويُلعنُ ويُنكلُ بهِ، ثمَّ يُصلبُ كما زعمتِ الأناجيل ؟

قالَ الأستاذ Abrigo: إنَّ الإنجيلَ الرَّابع إنجيلُ يوحنا، الوحيدُ الذي فسرَ لنا هذا السِّرُ، حيثُ ذكرَ سرَّ الفداء والخلاص، فالمسيحُ قد تحمّلَ عنا كلَّ الآلامِ، وما كنا نستوجبهُ أمامَ العدالةِ الإلهيةِ من العقابِ وهو الموتُ إلى الأبد. لأنَّهُ مكتوبٌ كلُّ نفسٍ تخطئ جزاؤها الموت، فماتَ الفادي يسوع عوضاً عنا، ووفى للعدلِ الإلهي حقهُ[١٢]

قال الدُّكتور محمد : أتعني ذلك السِّرَ الذي كشفهُ يوحنا، وهو في هذهِ الفقرةِ التي تُكتب في صدرِ كلِّ نسخةٍ من البيبل bible بكلِّ اللغاتِ وتفخرُ بها الكنائسُ في العالمِ :

«هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذلَ ابنهُ الوحيدَ لكي لا يهلك كلُّ من يؤمن بهِ، بل تكونُ لهُ الحياةُ الأبديةِ».

إنَّها تمثل بالنسبةِ إليكم ركن العقيدةِ الأعظم بعدَ الإيمانِ بالثالوثِ المقدس.

قالَ الأستاذ : نعم يعتز ويدينُ بها كلُّ الكنائسِ في العالمِ رغمَ كثرةِ الخلافاتِ بينهم.

---

[١٢] لهذا الموضوع تفصيلٌ وتوضيحٌ في الفصلِ الثاني من الكتاب، على القارئ الرُّجوعُ إليه.

الدُّكتور محمد : إذا كانتْ هذه الفقرة بمثلِ هذهِ المنزلةِ والمستوى والسِّرِ الإلهي المكنونِ والذي لم يُكتشفْ إلا في عصرِ المسيحيةِ بعدَ المسيحِ، فلماذا لم يُثبتها كلٌّ من مَتّى ومرقس ولوقا في أناجيلهم ؟

فأمسك الأستاذ أبريغو عن الكلام.

تابع الدكتور محمد : هناك ثلاثة خيارات، و لا بد لكل مؤمن أن يختار إحداها.

أولاً : أن يكون يوحنا ثقة أميناً، و غيره الثلاثة الآخرون غير أمناء و لا يوثق بهم، أو أن الله تعالى علم فيهم الخيانة فلم يطلعهم عليها لأنهم ليسوا أهلاً لها، إذ إنَّ تلك المعتقدات لم تنقل لهم عن طريق رسل المسيح، فهي أفكار كانت سائدة في ذلك الوقت. و كان أول مؤسس لها «بولس» عن طريق رؤيا حدثت له وأصبحت عقيدة. ثانياً : أن يكون مَتى و مرقس و لوقا، ثقاة نظراً لعددهم، ويكون يوحنا غير ذلك، خاصة أنه آخر من ألف إنجيله و كان ذلك في بداية القرن الثاني الميلادي، ثالثاً : أن تكون هذه الفقرة مجرد رأي ليوحنا و أتباعه، و لا تعتبر عقيدة أو ديناً سماوياً. و لا تعدو كونها مجرد آراء و فلسفات يونانية لن تستطيع أن تقنع بها الناس، و هذا غير مقبول عند من يؤمن بالله و يريد ديناً سماوياً.

قال الأستاذ abrigo أنا أرجح الاحتمال الثالث.

الدكتور محمد : في «القرآن» الكريم يقول الله ـ عز وجل ـ

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٥٨) ﴾

النّساء ١٥٧ - ١٥٨

الأستاذ balmori : إن صحت هذه الآية لكان القرآن الكريم بذلك قد أبطل كل المعتقدات المسيحية[١٣]

الدكتور محمد : لدي من الأدلة الكثير و لكن سأذكر بعضاً منها :

أولاً : حسب رأي يوحنا ـ المتأثر بفكر بولس، و الذي انفرد به وخصته السماء به حسب زعمه، و رغم بعده عن زمن المسيح بمئة عام تقريباً ـ أن التعذيب و الهوان و القتل و الصلب هو مشيئة الله و حكمته فبذل ـ ذبح ـ ابنه الوحيد ليكون ذلك فداء و خلاص للبشرية، و السؤال هنا :

هل كانَ المسيحُ يعلمُ هذا أم كانَ يجهلهُ ؟

الأستاذ Balmori : بل كانَ لا يعلم.

الدُّكتور محمد :

أولاً : هذا دَّليلُ على أنَّهُ غيرُ إلهٍ، و إلا لعلمَ مشيئة الله، لأنَّ الجهلَ نقصٌ وهو مُحالٌ على الإلهِ.

ثانياً : إذا كانَ المسيحُ لا يعلمُ أنَّ هذهِ مشيئةُ اللهِ، فمن ذا الذي أخبرَ وأعلمَ المسيحيين بهذهِ المشيئةِ، وهذا السِّرِ الإلهي بمن فيهم يوحنا و " بولس ".

فقالَ : آسفٌ ربما تسرعتُ، إنَّ المسيحَ كانَ يعلمُ ذلك، أنَّهُ أتى إلى العالمِ ليُقتلَ ويُصلبَ فداءً عن خطايا المؤمنين بصلبهِ.

الدُّكتور محمد : إذا كانَ المسيحُ يعلم أنَّ تعذيبهُ وصلبهُ وقتلهُ، مشيئةُ اللهِ وإرادتهِ فهل رضي بهذهِ المشيئةِ أم كانَ ساخطاً ؟

الأستاذ Balmori : بل كانَ راضياً، لأنَّهُ يستحيلُ على يسوع المسيح وهو بهذهِ المنزلةِ من اللهِ أن يسخطَ على مشيئتهِ.

الدكتور محمد : إذا كانَ المسيحُ يعلم أنَّ هذهِ مشيئةُ اللهِ وإرادتهِ، وكانَ راضياً عنها، فكيفَ يحزن ويكتئب حتى يكادُ يموت كما قالَ لتلاميذهِ ـ

---

[١٣] وهذا ما أثبتناهُ في الفصلِ الثالثِ من الكتابِ، من أنّ المسيح لم يمتْ على الصّليبِ وإنّما شبهَ لهم كما ذكرَ القرآن الكريم.

على حسابِ ما جاءَ في الأناجيل - ويكثر من الصَّلاةِ والاستغاثةِ حيثُ يقول :

«فقالَ لهم " اقعدوا هنا ، حتى أذهب وأصلي هناك ، وبدأ يشعرُ بالحزنِ و الكآبةِ ، فقالَ لهم : " نفسي حزينةٌ حتى الموت "».

متى« ٢٦ / ٣٦ - ٣٨»

«ويلٌ لمن يسلم ابن الإنسانِ ! كانَ خيرٌ لهُ لو لم يولد»

متى«٢٦ / ٢٤»

«وابتعدَ عنهم قليلاً وارتمى على وجههِ وصلى فقالَ : «إن أمكنَ يا أبي، فلتعبر عني هذه الكأس».»

متى«٢٦ / ٣٩»

«وابتعدَ ثانية وصلى، فتركهم وعادَ إلى الصَّلاةِ مرةً ثالثةً فردد الكلامَ نفسهُ».

متى«٢٧ / ٤»

ويبتهل حتى صارَ يعرقُ كقطراتِ الدَّمِ، عندما أحسَّ أن اليهود يريدون القبضَ عليهِ وقتلهُ، ويقولُ لهم لماذا تطلبونَ قتلي وأنا إنسانٌ قد كلمتكم بالحقِّ الذي سمعتهُ من اللهِ، كما ذكرَ يوحنا «٨/ ٤٠»

«كانَ يُصلي قائلا :إلهي إنَّ كلَّ شيءٍ باستطاعتكَ فأسألك أن تصرفَ عني كيدَ اليهودِ وتنجني من مكرهم وبأسهم».

متى«٢٦ / ٣٩ - ٤٤»، ومرقس«١٤ / ٣٦»، ولوقا«٢٢ / ٤٢ - ٤٣»

لماذا سألَ المسيحُ اللهَ - جلَّ جلالهُ - أن يخلصهُ وينجيهِ من أيدي اليهود ومكرهم وألحَ في كلِّ صلاةٍ صلاها كما تذكرُ الأناجيل، إذا كانَ يعلمُ أنَّ في موتهِ خلاصاً للمؤمنين وفداءً لهم وبالتالي مشيئة اللهِ، فإنَّهُ يفترض أن يسمع من رواةِ الأناجيل أن المسيح كانَ ينتظرُ تحققَ ذلك بفارغِ الصَّبرِ ليرضي الذي أرسلهُ.

والسؤالُ هنا : هل استجابَ اللهُ - عزَّ وجل - لهُ ؟ أم تركهُ ولم يعبأ بدعائهِ وصلواتهِ واستغاثتهِ، ثمَّ ينصرُ اليهود بعد ذلك فيما كانوا يريدون ؟

الأستاذ Balmori : إنّكَ لتبهرني بأدلتكَ وبراهينكَ. إنَّ ظاهرَ الأمرِ أنَّ اللهَ لم يستجبْ لهُ، ولذلك أُخذ وصُلِبَ وقُتِلَ[١٤]

الدُّكتور محمد : من قالَ قولكَ كأنَّهُ يريدُ إنَّ يقولَ إنَّ المسيح غيرُ صادقٍ فيما نسبهُ إلى اللهِ - عزَّ وجل - من كونهِ مرسلاً من عندِ اللهِ أو حتى ابنُ اللهِ - على زعمكم - لأنَّ اللهَ يستجيبُ دعاءَ المضطرين والمستغيثين حتى لو كانوا غيرَ مؤمنين لرأفته و رحمتهِ بعبادهِ، ومن أجلها يرزقُ الكافرَ والمؤمنَ، فما بالكَ بالمسيحِ ومكانتهِ، وحاشا للمسيحِ أن يكذبَ في هذا، بل رسولٌ حقاً وصدقاً.

ثمَّ إنَّ قولكَ إنَّ اللهَ - جلت قدرتهُ - لم يستجبْ للمسيح يتناقض ويتعارض مع البيبل ! حيثُ أنَّ لوقا اثبتَ في إنجيلهِ :

أنَّ المسيحَ لما أكثرَ من الصَّلاةِ ودعا اللهَ واستغاثَ بهِ وألحَ في الدُّعاءِ، استجابَ اللهُ - عز وجل - له، وتجلى لهُ المَلَك - جبريل - ليؤيدهُ ويبشرهُ أن لا يخاف لأنَّ اللهَ حافظهُ من مكرهم ومنجيهِ، ولن يصلوا إليهِ بسوءٍ« لوقا٢٢/٤٣»

أم أنكَ تعتقد أنَّ الملاك أتاهُ ليبشره أنّ اللهَ ناصرهُ ومنجيهِ، ثمَّ ضحكَ عليهِ وتركهُ بعدَ أن أطمأنَ المسيحُ لكلامهِ، لينالوا منهُ ما شاؤوا و....، وهذا ما لا يقبلهُ عاقلٌ.

والدَّليلُ ألأقوى، أنَّ بولس : المؤسس الأول لفكرةِ الموتِ والصَّلبِ والفداءِ يُنسيهِ اللهُ ليُعينَ كلَّ من يريدُ الحقيقةَ، فيعترف ويشهد في رسالتهِ للعبرانيين كما هو موجودٌ في الأناجيلِ العهدِ الجديدِbible حيثُ يقولُ فيه عن المسيحِ :

«وهو الذي في أيامِ حياتهِ البشرية - أي قبلَ رفعهِ إلى السَّماءِ - رفعَ الصَّلواتِ والتضرعاتِ، والاستغاثاتِ بصراخٍ شديدٍ ودموعٍ ذوارف إلى اللهِ القادرِ أن يخلصهُ من الموتِ، فاستجابَ لهُ لأجلِ تقواهِ».

رسالة بولس إلى العبرانيين« ٥ / ٧ - ١١»

---

[١٤] للتوسع والإيضاح، يُرجى الرُّجوع إلى الفصلِ الثالث من الكتاب «الأناجيل تثبت ان المسيح لم يمت على الصليب».

فإذا فرضنا جدلاً أنَّ هذهِ مشيئةُ اللّه، فما معنى صلواتِ المسيحِ وبكائهِ واستغاثتهِ إلا أنَّهُ متأكدٌ أنَّ اللّه سينجيهِ من أيديهم كما نجى إبراهيم ويونس وأيوب وموسى ـ عليهم السَّلام ـ، و إلا كانَ دعائه عبثاً واعتراضاً وسخطاً على مشيئةِ اللّه، وهذا كلَّهُ لا يجوز في حقِّ المرسلين من عندِ اللّهِ ربِّ العالمين.

إنَّهُ بثبوتِ تلكَ الأدلةِ يثبت فساد وبطلان القولِ بالقتلِ والصَّلبِ ومن ثمَّ عقيدةُ الفداءِ والخلاصِ « راجع الفصل الثالث»

القسيس Danilo: وهل كانَ هناك شكٌ في صلبِ المسيحِ حتى قالَ القرآن ما قال ؟.

الدُّكتور محمد : استمع إلى هذهِ الفقرةِ من البيبل من رسالةِ بولس حينَ يعترفُ بذلك :

«أما نحنُ فنادي بالمسيحِ مصلوباً شكاً من اليهودِ وجهالة في نظرِ اليونانِ... فما يبدو أنَّ حماقة من اللّه هو أحكمُ من حكمةِ البشر».

رسالة بولس الأولى إلى كورنتوس«١ / ٢٣ - ٢٥»

ويكتبُ إلى أهلِ غلاطية فيقولُ : «إذاً شك الصَّليبُ قد بطل».

رسالة إلى أهل غلاطية «٥ / ١١»

ورغمَ أنَّ بولس قد بذلَ الكثير من المحاولاتِ لإقناعِ معاصريهِ له على الإيمانِ بأنَّ المسيحَ صُلِبَ وقتلَ، ونفي الشَّك إلا أنَّهُ كانَ يفشلُ دائماً حتى أن كل الذين في آسية قد رفضوا آراءهُ. وقد اعترفَ بذلك في بعض رسائلهِ التي أرسلَ بها إلى تلميذهِ تيموثاوس فقالَ :

«قد علمتُ أنَّ جميعَ الذين في آسيا قد ارتدوا عني ومنهم «فيجلس» و «هرموجينس» »

إلى أن يقول لهُ مؤكداً ومعلماً إياهُ : «اذكرْ أنَّ يسوع قد قامَ من بينِ الأموات على حسبِ إنجيلي».

رسالتهُ إلى تموثاوس «٨/٢»

«وبينما بولس يحتجُ بهذا ، قالَ فيستوس ـ صديقُ بولس ـ بصوتٍ عظيمٍ : أنتَ مجنونٌ يا بولس، الكتبُ الكثيرةُ تحولكَ إلى الهذيانِ، فقالَ بولس : لستُ أهذي ـ أنا أنطقُ بالصَّوابِ لأنهُ المَلَك الذي أخاطبهُ جهاراً يعرفُ هذه الأمور».

أعمال «٢٦/٢٤ - ٢٦»

والخلافُ بينَ بولس وكثيرٍ من تلاميذِ المسيحِ الحقيقيين الذين عاصروا المسيح، لا حصرَ له، وذلكَ واضحٌ في العهدِ الجديدِ وخاصةً مع بطرس وبرنابا ويعقوب زعيمُ النصارى – من أتباعُ المسيحِ ومن حوارييهِ -، أما بولس فكانَ ممن يلاحق ويحارب تلاميذ المسيحِ بعد المسيحِ وأصبح مؤسساً للمسيحية حتى يومنا هذا.

يقول بولس: «وعندما جاءَ بطرس إلى إنطاكية، قاومتهُ وجهاً لوجهٍ لأنَّهُ كانَ يستحقُ اللوم».

رسالة بولس إلى غلاطية«٢/١١»

«وبإمكانكم إذا قرأتم ذلك أن تعرفوا كيفَ أفهم سر ـ فداء ـ المسيح، هذا السر الذي ما كشفهُ الله لأحدٍ من البشرِ في العصورِ الماضيةِ وكشفهُ لي الآن في الرُّوح، ذلكَ السِّرُ الذي بقيَّ مكتوماً طوالَ العصورِ في الله، ليكونَ للكنيسةِ الآن فضلُ إطلاعِ أهلِ الرئاسةِ والسُّلطةِ».

رسالة بولس إلى افسس«٣ / ٤ - ٥»

«فإذا شهدتَ بلسانكَ أنَّ يسوع ربٌّ، وآمنتَ أنَّ الله أقامهُ من بينِ الموتى، نلتَ الخلاصَ ـ النَّجاةِ من الآخرةِ -».

رسالتهُ إلى رومه« ٩ / ٩»

حسب الأناجيلِ:.. المسيحُ يُخيرُ أتباعهُ بذلك الشَّكِ قبلَ أن يقعَ منهم ومن اليهودِ «حينئذٍ قالَ لهم يسوع : كلكم تشكونَ هذهِ الليلةِ».

متى«٢٦ / ٣١»

المسيحُ يبشرُ أصحابهُ ويتحدى أعداءهُ بمعجزةِ النجاةِ، بأنَّ الله ـ عزَّ وجل ـ سينجيهِ من مكروكيد اليهودِ. بقولهِ :

«ستطلبونني ولا تجدونني وحيثُ أكون أنا، لا تستطيعونَ أنتم أن تأتوا».

يوحنا« ٧ / ٣٤»

وتحداهم في الهيكلِ مرةً أخرى فقال :

«وقالَ لهم يسوع أيضاً أنا ذاهبٌ و ستطلبونني وتموتون في خطيئتكم، حيثُ أذهب أنا، لا تقدرونَ أنتم أن تأتوا».

يوحنا« ٨ / ٢١»

فلو أنَّهُ ماتَ على الصَّليبِ، ما كانَ اليهود سيموتون في خطيئتهم، بل سيكونونَ بموقعِ المنتصرِ، خاصةً أنَّ في كتابهم أنَّ النبي الكاذب يُقتل، فلو ماتَ على الصَّليبِ لثبتَ بأنَّهُ النبي الكاذب.

وأخبرَ تلاميذهُ كلٌّ على حدة : «قالَ لهُ سمعان بطرس إلى أينَ تذهب، أجابَ يسوع حيثُ أذهبُ أنا، لا تقدر أن تتبعني».

يوحنا« ١٣ / ٣٦»

فلو ماتَ المسيحُ -كما زعموا -، أينَ سيكونُ هذا التحدي حيثُ وضعوهُ ـ كما روت الأناجيل ـ في قبرٍ على شكلِ قاعةٍ قريبةٍ من موقعِ الصَّلبِ ويُمكن لأيٍّ أحدٍ أن يجدهُ.

يوجد من الأدلةِ والبراهين الكثير ولكن لا مجالٌ لذكرها حيثُ أنَّها تحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ.

وهنا صمتَ الجميعُ، وقالا الأستاذان : الأدلةُ قويةٌ وبليغةٌ ونرجو أن نعرفَ المزيدَ.

الدُّكتور محمد : أرأيتم إذا أثبتُ لكم بالدَّليلِ أنَّ المسيح لم يأتِ من أجلِ أن يُقتلَ ويُصلبَ ويُصبحَ كفارةً للخطائين أو كما قالَ يوحنا : هكذا أحبَّ الله العالم...

فهل أكونُ قد أثبتُ بطلانَ هذا الاعتقادِ ؟!

أوتدرونَ ما هي الرِّسالةُ الحقيقة التي من أجلها أتى المسيح ؟

قالَ الأستاذ Abrigo: من خلالِ دراستي، أنَّهُ أتى من أجلِ الفداءِ والقربانِ، حيثُ ضحى بدمهِ من أجلنا، ومن أجلِ أن يخلصنا من خطيئةِ آدم وحواء.

الدكتور محمد : المسيح أتى من أجلِ أن يملكَ عرشَ داود أبيهِ كما أخبرَ الملاكُ أمهُ :

«وسيعطيهِ الرَّبُّ الإلهُ عرشَ داود أبيه، ويملك على آلِ يعقوب إلى الأبدِ».

لوقا« ١/ ٣٢»

ثانياً : شهادةُ المسيح أنَّهُ لم يأتِ للصلبِ و...، وإنَّما أتى من أجلِ نشر رسالةِ التوحيدِ للهِ ربِّ العالمين، كما فعلَ كلُّ الأنبياءِ والمرسلين، واستمع إليهِ وهو يناجي ربهُ قائلاً :

«إلهي لقد أتممتُ العملَ الذي أعطيتني لأعملهُ، وهو أن يعرفونكَ أنكَ أنتَ وحدكَ، والذي أرسلتهُ رسولكَ يسوعَ المسيح».

يوحنا« ١٧ / ٣ - ٤»

وبهذا يكونُ قد أبطلَ عقيدةَ الفداءِ والخلاصِ وأيضاً أبطلُ الأقانيم الثلاثة، والقول بالحلولِ وغيرِ ذلك من الشِّركِ والوثنيةِ. وأنَّهُ رسولٌ وليسَ ابناً أو إلهاً وأنَّهُ انتهى من الرِّسالةِ التي بُعثَ من أجلها. وهي أنَّ الجميع شهدوا أنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لهُ.

ثالثاً : المسيحُ يؤكدُ عملهُ كرسولٍ فيقول :

«لا تظنوا أني أتيتُ لأنقضَ الناموسَ أو الأنبياءِ، ما جئتُ لأنقضَ بل لأكملَ».

متى«٥ / ١٧»

والمعروف أنَّ أعمالَ الأنبياءِ والمرسلين هي الدَّعوة إلى توحيدِ الله ـ عزَّ وجل ـ، وقد فعل ذلكَ المسيح من بدايةِ نزولِ الوحي منادياً في الناس قائلاً :

«آمنوا بالأناجيلِ» **مرقس«١/ ١٢»**

(ولكن ليستْ الأناجيل الحالية بالطبع)، وبالتالي فلم يأتِ المسيح من أجلِ الصَّلبِ والخلاصِ.

رابعاً : أتى المسيح ليصحح ما أفسدَ اليهود من تعاليمِ الله التي انزلها على موسى ـ عليهِ السَّلام ـ فتوعدهم بالويل والثبورِ على ما أحدثوهُ من فسادٍ، وتحريفٍ لتعاليمِ الله ـ عزَّ وجل ـ وما أدخلُ على ديانتهم من معتقداتٍ وثنيةٍ تأثروا بها من الشُّعوبِ التي خالطوها.

«الويلُ لكم أيُّها الكتبةِ والفريسيون المراؤون فإنكم تغلقونَ ملكوتَ السَّماواتِ في وجوهِ الناس، فلا أنتم تدخلون ولا الدَّاخلون تتركونهم يدخلون، فإنكم تشبهونَ القبورَ المجصصةِ التي ترى الناس من خارجها حسنةٌ وهي من داخلها مملوءةٌ عظاماً وأمواتاً وكلٌّ نجاسةٍ».

متى«٢٣ / ١٣ - ١٨»

خامساً : أتى المسيح ليذكرَ النّاس بالتوبةِ قبلَ فواتِ الأوانِ حيثُ يقول : «اقتربَ ملكوتُ الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيلِ».

مرقس«١ / ١٤»

فأينَ الفداءُ والقتلُ نيابةً عن أخطاءِ البشرِ، ومن أي شيء يتوبوا إذا كانَ قد كفرَ عن خطاياهم بموتهِ على الصَّليبِ، والسُّؤال هل صَلُحَ البشرُ بعدَ الفداءِ، وما كانتْ أهميتهُ.

سادساً : أتى المسيحُ لينذرَ الناس بيومِ البعثِ وأنَّهُ آتٍ لا محالة :«ينبغي لي أن أبشرَ المدن الأخرى بملكوتِ الله لهذا أرسلتْ».

لوقا «٤ / ٤٣»

الدكتور محمد يسال : من أيِّ خطيئةٍ يفتدينا المسيح بقتلهِ وصلبهِ.

القسيس : من خطيئةِ آدم التي أورثها لذريتهُ من بعدهِ.

الدكتور محمد : لقد غفرَ الله لآدم ـ عليهِ السَّلام ـ زلتهِ في وقتها كما اثبتَ القرآن، وكما هو واردٌ في العهدِ القديمِ من البيبل. سفر الحكمة «١٠ / ١ ـ ٢»

والمسيحُ يردُ هذا الاعتقاد عندما يقولُ للمؤمنين بهِ :

«لو لم آتِ واكلمهم لم تكنْ لهم خطيئةٌ، وأما الآن فليسَ لهم حجةٌ في خطيئتهم... ولو لم أعملْ بينهم أعمالاً لم يعملها آخر لما كانتْ لهم خطيئةٌ، أما الآن فقد رأوا وأبغضوني».

يوحنا«١٥ / ٢٢ - ٢٤»

فهل أنتم معي في أنَّ المسيح - عليهِ السَّلام - لم يأتِ ليُصلبَ من أجلِ دفعِ ثمن الخطيئة، وإنَّما أورث اليهود الخطيئة بسببِ عدمِ إيمانهم.

الأمرُ الأهم.. أنَّ اللّه - جلَّ جلالهُ - ليسَ بظالمٍ لعبادهِ، فكيفَ يحاسبهم على خطيئةٍ لم يرتكبوها، فأيُّ عاقلٍ يرضى أن يُنسبَ الظُّلمُ إلى اللّه - تعالى ؟

إذا كانَ البشر على ضعفهم وعواطفهم المتغيرةِ ومستوى عقولهم، يغفرونَ لغيرهم من البشرِ، فكيفَ باللّهِ القوي العادلِ الحكيمِ والرَّحيمِ.

أليسَ في قتلِ الإله أو ابنُ اللّه –على حسب زعمكم - خطيئةٌ من أعظمِ الخطايا وتحتاجُ إلى من يغفرها.

واليهود أو كل من لم يدافع عن المسيحِ وتركه في أيديهم، ولكلٍّ من سَمِعَ بذلك فرضي ولم يبرأ منها، يلزمهم كلهم تكفيرٌ عن تلكَ الخطيئةِ.

قالَ الأستاذ Abrigo : هذا حقٌّ.

الدكتور محمد : فهل يكون بذلك المسيح قد خلصَ العالم من الخطيئةِ، أم أورثهم الخطيئة بفعلهم الشَّنيعِ هذا ؟

ثانياً : كيفَ يتفق اعتقادهم بأنَّ المسيح أتى من أجلِ خطيئةِ آدم مع قولِ يوحنا عن المسيحِ :

«وهو كفارةٌ عن خطايانا، وليسَ عن خطايانا فقط،. بل عن خطايا العالمِ كلهِ أيضاً».

رسالة يوحنا «٢ / ٢»

ويُبالغ بولس في ذلكَ حيثُ يقولُ عن المسيحِ أنَّهُ أصبح لعنةٌ من أجلِ المسيحيين.

«فالذي افتدانا من لعنةِ الناموس ـ الشَّريعةِ ـ هو المسيح الذي صارَ لعنةً من أجلنا»

رسالة بولس إلى غلاطية «٣ / ١٣»

فهب أنَّ المسيحَ إلهٌ على زعمهم أو هو ذاتُ اللّه الأقنوم الثاني، هل يكون هذا الإله ملعوناً، ومن أجلِ أيِّ شيءٍ؟ من أجلِ خطايا المجرمين والمفسدين في الأرضِ؟ وهل الناموس الذي هو شرعُ اللّه تعالى وتعاليمهُ، والذي فيهِ هداية البشر ومن أجله أرسل اللّه الرسل، يكون لعنة هو أيضاً؟ وهل يقولُ بذلك إلى عدوِ اللّه ورسلهِ وملائكتهِ.. وهل يريدُ الملحدين وأعداءُ الدِّياناتِ أكثر من هذا للهجومِ على الدِّينِ.

وإذا كانَ المسيحُ جاءَ فادياً ومخلصاً لكلِّ خطايا البشرِ إلى يوم الدَّينِ فهذهِ دعوةٌ إلى الفسادِ في الأرضِ وارتكابِ الفواحشَ باسمِ الدَّينِ، وباسم المسيحِ المخلصِ لكلِّ خطايا العالمِ.

وإذا كانَ المسيحُ جاءَ ليُصلبَ، خلاصاً للبشرِ من جميعِ خطاياهم، فهل يا ترى كلُّ خطايا العالمِ من عهدِ آدم إلى اليومِ الآخرِ ؟

فإن كان من عهدِ آدم إلى زمنِ المسيحِ، فنحنُ وبالأخصِ المسيحيين، نحتاجُ إلى فداءٍ ومخلصٍ آخر أعظم من المسيحِ حيثُ أنَّ ذنوبَ البشرِ الآن أكبرُ بكثيرٍ.

وإن كانَ إلى يومُ الدَّين، فهذه دعوةٌ إلى الفسادِ باسم الدِّينِ، حيثُ لا حرجَ بعدَ صلبِ المسيحِ على أيِّ إنسانٍ يؤمنُ بصلبِ المسيحِ ـ على رأي يوحنا ـ في أن يرتكبَ الفواحش والجرائم و..، اعتماداً على المسيحِ.

الدكتور محمد يتساءل : إذا فرضنا جدلاً أنَّ المسيحَ صلب وقُتِلَ، فهل اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ كانَ راضياً.. عن قتلهم للإلهِ الابنِ ؟

القسيس Danilo: نعم إنَّهُ كانَ راضياً.

الدكتور محمد : إن كانَ راضياً.. فمن الذي أعلمكم برضا اللّه ـ تعالى ـ، ونحنُ نعلم أنَّ المسيح ـ كما ذكرنا ـ كانَ مكتئباً حيثُ قال: «نفسي حزينةٌ

حتى الموتِ»، وكانَ يكثرُ من الصَّلاةِ والدُّعاءِ والتضرعِ للهِ ويعرق كقطراتِ الدم ويلومُ الذي سلمهُ لليهودِ.

«ويلٌ لذلكَ الرَّجلِ الذي يُسلمُ ابنَ الإنسانِ». **مرقس«١٤ / ٢١»**

وإذا كانَ في صلبِ المسيحِ رضىً للهِ ورضا وسعادة المؤمنين -وكانوا يعلمونَ بذلكَ (حيثُ نعمَ الفداءِ والخلاصِ) فلماذا أخذوا يبكونَ ويلطمونَ صدورهم كما يحكي لوقا في إنجيلهِ :

«وكلُّ الجموعِ الذينَ كانوا مجتمعين على هذا المنظرِ لما عاينوا ما حدث رجعوا وهم يقرعون صدورهم».

لوقا «٢٣ / ٤٨»

ولعلكم تذكرون أيضاً تلاميذ المسيح الذينَ كانوا سائرين مكتئبين والحزنُ يملأ قلوبهم، عندما سألهم المسيحُ بعدَ أن شاعَ صلبهُ بينَ الجميعِ، قالوا :

«نحنُ كنا نرجوا أنَّهُ هو المزمعُ أن يفدي إسرائيل»

لوقا«٢٤ / ٢١»

وأنتم تعلمون أنَّ الذي أجابَ بهذا القول هو كيلوباس من اقربِ المقربين إلى المسيح ، أفلا يعلمُ كليوباس أنَّ في موتِ المسيحِ وصلبهِ رضاً الله وخلاصاً وسعادة البشريةِ، وفي إجابتهِ يتكلم عن المسيح وهو يُجيبُ على أنَّ المسيح نبي لشعبِ إسرائيل وليسَ إلهاً أو ابن إلهٍ.

وإن قلتَ أنَّ الله تعالى كانَ ساخطاً على اليهود في قتلهم الرَّسول، فإنَّ في ذلكَ غاية البطلانِ، لأن - جلتْ قدرتهُ - لا يعجزهُ شيءٌ في الأرض ولا في السَّماءِ حتى ينجي السَّيدَ المسيح، وهو الذي نجى إبراهيم ونوح وموسى ويونس وغيرهم من قبل. فعلى حسب زعمهم : أن الله - جلَّ و علا - عاجز عن نصرة نفسه أمام أعدائه.حيث أن المسيح كما قالوا هو جوهر ذات الله، و الله متجسد فيه، فمن يرضى أن يكون إلهه عاجزاً إلا الوثنيين الذين يعبدون الأصنام و هم يعلمون بعجزها، حيث يصنعونها بأيديهم ثم يقدسونها.

و رغم هذا فإن كان الله. ساخطاً على فعلتهم فأين السر المكنون الذي كشفه يوحنا: «هكذا أحب الله العالم....»

و هنا أسأل: كم عدد المؤمنين بالمسيح قبل رفعه للسماء ؟

القسيس: إن المؤمنين بالمسيح أعداد كبيرة و حشود عظيمة و ذلك بعد أن أشفى المرضى.. هذا غير حادث معجزة الطعام و..، فقد ذكر مَتى: «أن اليهود أرادوا أن يقبضوا عليه و لكنهم خافوا الجموع لأنه كان يعد عندهم نبياً».

متى«٢١/ ٤٦»

الدكتور محمد : هذه الحشود و الجموع العظيمة كيف لم يحدثوا ثورة في البلاد و دافعوا عن إلههم حتى الموت دونه و الاستشهاد في سبيله، لمَ لم تعبر عن شعورها حتى ولو بعملٍ صامتٍ رمزاً لسخطهم وعجزهم وأسفهم، أم أنَّ مؤلفي الأناجيل تغافلوا عن تكملة تأليفِ القصةِ، أم أنَّ حقيقةَ صلبِ المسيحِ هي التي لم تلهمهم مثلَ هذا الإيحاء.

بل الذي يُؤسف له أنَّ كُتابَ الأناجيل صوروا لنا تلاميذَ المسيح كخائنينَ لهُ ـ وهذا عكسُ ما أقرهُ القرآن الكريم في الحديثِ عن النصارى الذينَ ناصروهُ ـ، فكما جاءَ في الأناجيلِ، أنَّهم تخلوا عنهُ وهربوا من حولهِ عندما عرفوا أنَّ اليهودَ يريدونَ القبضَ عليهِ، بل لعنوهُ وتبرؤوا منهُ[١٥].

ثمَّ تريدُ الكنيسةُ بعدَ ذلك أن تُفهمَ العالم كلَّهُ أنَّ كل من لا يؤمن بالمسيحِ إلهاً مصلوباً ومخلصاً ويعبدهُ من دونِ الله، ليسَ لهُ حظٌ في النَّعيمِ الأبدي.. فهل وقعَ القحطُ في عقولِ البشرِ ؟!.

ثمَّ ما هي تعاليمُ هذا الإلهِ الجديد، المهان والبائس واليائس الذي كانَ يصرخُ على الصَّليب «إلهي، إلهي، لماذا تركتني» بعدَ أن بكى وألحَ في الاستغاثةِ، والذي لا حولَ ولا قوةَ له، وليسَ فقط هذا بل عليكَ أن تكفر بكلِّ

[١٥] وهذا كانَ لهُ غايتهُ عندَ كُتابِ الأناجيلِ، ليبرروا تواصلَ عيسى المسيح مع بولس وهذا موضحٌ في الفصلِ الثاني يُرجى الرجوع للاستزادة

الشَّرائعِ السَّماويةِ، لأنَّ الناموس ملعون، وهذا الإله ملعون لأنَّهُ تحملَ من أجلنا اللعنة، كما أرادَ بولس أن يعرفنا بهذا الدِّين الجديد.

قالَ الأستاذ Balmori : يا أخي لقد أبغضت إليَّ هذه التعاليم وكشفتَ لنا عن حقائق جمة، ولا مانع عندنا من معرفةِ المزيد.

الدكتور محمد : هل لكم أن تحدثونا عن أسسِ العقيدةِ المسيحيةِ.

الأستاذAbrigo : عقيدة الفداء تقول : إنَّ الله من فرطِ محبتهِ للبشرِ أعدَّ لنا طريقَ النجاةِ، وذلكَ بأن أرسلَ ابنهُ الوحيد لكي يكونَ الفداء بموتهِ لننالَ الغفران ونتحرر من كل خطايانا، إذا آمنا من كلِّ قلوبنا بعملِ الفداءِ الذي قدمهُ الإله يسوع، ولذلك نقول : إنَّ تبريرَ الله لنا هو تبريرٌ مجاني ولسنا بحاجةٍ لأيِّ عملٍ نقومُ بهِ، أو واجباتٍ وفرائض من صلاةٍ وصيامٍ وغيرِ ذلك، لقد نلنا البرَّ أمامهُ بنعمتهِ.

الدكتور محمد : أوليستْ هذه التعاليم، هدماً كاملاً لكلِّ العقائدِ والشَّرائعِ السَّماويةِ، وتكونُ النَّهاية أن ينتصرَ الإنسان المخلوق على الإله الذي خلقه، فيصلبه ويقتله ويقبره في باطن الأرض، وإن الإله الذي خذلهُ هو أبوه.

وهذا ما أرادهُ بولس وتلاميذه «متى» و «مرقس» و «لوقا» و «يوحنا» كُتابُ الأناجيلِ، حسبما ذكرَ في فيلمون «١/٢٤» ورسالة تيموثاوس«٤ / ١١»

يقول «بولس» للذينَ يريدونَ أن يعملوا بالناموس كتلاميذِ المسيحِ الحقيقيين الذينَ رافقوا المسيح في حياتهِ :

«أيُّها الغلاطيون الأغبياء من الذي سحركم.. أريدُ أن أعلم فقط.. بأعمالِ الناموس نلتم الروح أم بسماعِ الإيمانِ أهكذا أنتم أغبياء»

رسالة بولس إلى أهل غلاطية«١/٣ - ٣».

«إنَّ الخطيئة لا تسودُ عليكم لأنَّكم لستم تحتَ الناموس . أعمال الشَّريعةِ . بل تحتَ النِّعمةِ»

رسالة بولس إلى أهل رومية«١٤/٦»

«إذا كانَ البرَّ بالناموسِ فالمسيحُ إذاً صُلِبَ وماتَ... باطلاً»

رسالة بولس إلى أهل غلاطية «٢/٢١»

وهكذا أبطلَ بولس وتلاميذهُ كلَّ شرائعِ الله، بل لقد نسبوا ذلك إلى السَّيِّدِ المسيحِ :

«إنَّ كلَّ ما ربطتموه على الأرضِ يكونُ مربوطاً في السَّماءِ وكلَّ ما حللتموهُ على الأرضِ يكونُ محلولاً في السَّماءِ».

متى« ١٨ / ١٨»

ولم يكتفوا بإلغاءِ شرائعِ الله - عزَّ وجل -، بل أباحوا لأنفسهم حقَّ التشريعِ كما يحلوا لهم وبحسبِ شهواتهم على النحوِ الذي يألفوهُ اليونان والرومان، فأباحوا شُربَ الخمرِ الذي كانَ محرمً وكلَّ ما جاءَ في الشَّريعةِ - لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشتهِ امرأةَ غيركَ، أكرم أباك وأمكَ، لا يكون لكَ آلهةً سواي، لا تشهد زوراً، - باعتبارها كلّها ملعونة، حسبَ فكرِ بولس.

فهل يريد أعداءَ الدِّياناتِ السَّماويةِ أكثرَ من هذا وهل يريد الشيطان انتصاراً أكثر من هذا الانتصار.

يقولُ موشيم Mosheim: المؤرخُ في بيانِ علماءِ القرن الثاني: «كانَ بولس - اسمهُ اليوناني، والذي كانَ اسمهُ شاوول في العبريةِ - عبرانياً متعصباً وقائداً دينياً، أتاحتْ لهُ نشأتهُ في طرسوس فرصةَ الإطلاعِ على أكثرِ المعارفِ تقدماً في عصرهِ، وكانتْ طرسوس مدينة جامعية مشهورة بفلاسفتها الرواقيين و الفيثاغورثيين والأبيقوريين، وكانَ الفريسيون ومنهم بولس، يأخذونَ بالحكمةِ الرواقيةِ، ومن أشهرِالفلاسفةِ اليهود: يهوذا فيليون الذي مزجَ في فلسفتهِ بينَ عقائدِ عصره ومذاهبهِ الفلسفيةِ، وقد أخذ القول بالكلمةِ من الرواقيين عن هيراقليطس، وهي -Logos الكلمة - التي بدأ بها يوحنا أنجيله، وتقولُ هذه الفلسفة أنَّ«Logos » والتي أنزلها يوحنا تلميذُ بولس، أنَّها هي عيسى المسيح أي هي واسطةُ الله في علاقته بهذا العالم، وصارَ العلماء والمفكرين اليهود ينظرونَ

إلى الفلسفةِ اليونانيةِ بعينِ الإعجابِ، وأقبلوا على دراستها، وصارتْ الكتبُ اليهودية المقدسة تقرأ باليونانيةِ في الصلَّواتِ وفي المعابدِ اليهوديةِ».

كما تأثرتْ اليهوديةِ بالوثنيةِ والهندوسيةِ، ولذلك لا نجدُ إلهاً على صورةِ البشرِ في صفاتهِ وأقوالهِ كإلهِ اليهود، فقد صوُرهُ العهد القديم - أو كما يوهمونَ الناس بأنَّها التوراة وهي بعيدةٌ كلَّ البعدِ عن التوراةِ - على صورة بشرٍ قوي لكنَّهُ - استغفرَ الله - محدودُ النظرِ والبصيرةِ، مغلوبٌ على أمرهِ، يمشي في الجنةِ بصوتٍ مسموع كالبشرِ، فيسمعهُ آدم وامرأتهُ فيختبئ منهُ بينَ الشَّجرِ، فلا يراهما ولا يعرفُ مكانهما، ويبحثُ عنهما منادياً «أينَ أنتَ يا آدم».

سفر التكوين«٣/٩»

مثالٌ ثاني : إنَّ يعقوب يصارعُ الإله - حسبَ ما جاءَ في العهدِ القديمِ كتابُ اليهودِ الذي يؤمنُ بهِ المسيحيين - فيصرعهُ، ويقولُ لهُ الإله أطلقني قد طلعَ الفجرُ، فيجيبهُ يعقوب لا أطلقكَ حتى تباركني، فباركهُ الإله وسماهُ إسرائيل. وقالَ:«إني رأيتُ الله وجهاً لوجهٍ ونجتْ نفسي».

سفر التكوين«٣٢/ ٢٤ - ٣٠»

كما أنهم صوروه على أنَّهُ إلهٌ غيرُ معصومٍ ويندم - والذي يقرأ العهد القديم يجدُ من ذلكَ الكثير - :

«فندمَ الرَّبُّ أنَّهُ عملَ الإنسانُ على الأرضِ وتأسفَ في قلبهُ»

سفر التكوين«٦ /٦»

كما ندمَ وأسفَ على الشَّرِ الذي قال أنَّهُ سيفعلهُ بشعبهِ إسرائيل، بعدَ أن بَصرهُ موسى قائلاً :«ارجعُ عن شدةِ غضبكَ، وعد عن الإساءةِ إلى شعبكَ،... فعادَ الرَّبُّ عن السوءِ الذي قالَ أنَّهُ سينزلهُ بشعبهِ»

سفر الخروج«١٢/٣٢ - ١٤»

أيضاً - والعياذُ بالله - هو إلهٌ ضمنَ آلهةٍ، غايةُ الأمرِ أنَّهُ الإلهُ الخاصُ بهم، فلا يعبدهُ أحدٌ سواهم، وللزيادةِ في التحريف نسبوا هذا الكلام إلى موسى -:

«من مثلكَ في الآلهةِ يا رب»

سفر الخروج«١١/١٥»

وفي المزامير التي تنسب إلى داود - عليهِ السَّلام - إنَّهُ قالَ لإلهِهِ :

«أحببتَ البرَّ ولذلك مسحكَ إلهكَ يا الله بدهنِ البهجةِ أفضلُ من شركائكَ»

مزامير «٨/٤٥»

ويناشدُ اللهَ - عزَّ وجل - في وقتِ ضيقهِ :

«يا رب، لماذا تقفُ بعيداً؟ لماذا تتوارى في وقتِ الضيِّقِ، لماذا يستهين بكَ الشَّرير».

مزمور«١/١٠ - ١٣»

أيضاً :

«لكنكَ اليوم خذلتنا وأهنتنا، ولا تخرج للقتالِ مع جيوشنا، تردُنا إلى الوراءِ عن خصومنا، فيأخذُ الغنائم مبغضونا،.... تبيعُ شعبكَ بلا مالٍ... لأجلكَ نقتلُ كالغنمِ على الدَّوامِ... فقم لنصرتنا».

مزمور «١٠/٤٤ - ٢٧»

ألا يدلُ ذلك على صياغةٍ بشريةٍ من عقلٍ محدودٍ ولا علاقةَ لهُ بكتابٍ مقدسٍ، ولا علاقة لهُ بربِّ العالمين.

الأستاذ Danilo : أنا أعلم ونحنُ نتفقُ أنَّ هناكَ كثيراً من التناقضاتِ في البيبل«bible ، ولكن كيفَ نستطيعُ أن نثبتْ التحريف الذي ذكرهُ القرآن.

الدكتور محمد : أكبرُ وأعظمُ دليلٍ على وقوعِ التحريفِ هو أن يأتي شيئان متناقضان أو متعارضان في نفس الموضوع، فلا بدا أن يكونَ أحداهما حقاً»[١٦].

وهناك من الأمثلةِ الكثير لمن يَطلعُ على العهدِ القديمِ والجديدِ أو مجموعةُ الأسفارِ والأناجيل.

إنَ العهدِ الجديد تأثرَ بالعهدِ القديم أعظمَ التأثيرِ، بل إنَّ المسيحية بالغتْ

---

[١٦] يمكن للقارئ أن يرجعَ إلى الفصلِ الثاني من الكتابِ للاستزادة.

أكثر إذ جعلتْ لها إلهاً من جنسِ البشرِ يولدُ من رحمِ امرأةٍ آدميةٍ، يجوعُ ويأكلُ ويثقلُ بالطّعامِ ثمَّ يذهبُ ليبولَ ويتغوط، ويتعبُ ويستريحُ و....، ثمَّ يستنجدُ بأبيهِ فلا ينجدهُ ولا ندري السَّبب... أهو لعجزِ أبيه؟ أو هو من اختراعِ بولس وتلاميذهُ بأن الأب، أحبَّ أن يكفرَ عن خطيئةِ آدم وخطايا البشر بذلك.

وللعقلِ النَّزيهِ الحرِّ أن يتساءل مرةً أخرى :

أولاً ـ أوليسَ من السُّخفِ أن تُغفرَ خطيئةَ آدم، بخطيئةٍ وجريمةٍ أبشع هي «قتلُ الإله الابن». (على زعمهم).

ثانياً ـ ألم يكن في استطاعةِ الإله الأب أن يغفرَ خطيئةَ آدم دونَ سفكِ الدِّماءِ التي حرمها هو على البشرِ، أم أنَّهُ عجزَ عن البديل، فلم يرضَ أن ينتقم من المجرمين الظالمين، وانتقمَ من ابنهِ البريءِ الكريم الذي لم يحملْ وزراً، ونحنُ نؤمنُ أنَّ الإله عادلٌ، حكيمٌ.

﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

فاطر - ١٨

ثالثاً ـ ما الحكمة العظمى التي يظلُ من أجلها ابنُ آدم متحملاً لخطيئةِ أبيهِ حتى يأتي الإله يسوع في آخرِ الزَّمانِ ليكونَ قرباناً، وبينَ عيسى وآدم أنبياءً ورسلاً لا حصرَ لهم.

رابعاً ـ الآن نجدُ كلَّ يومٍ جرائم عظيمة من سفكِ الدِّماءِ وهتكٍ للأعراضِ، وسطوٍ على أموالِ الغيرِ، وظلمِ الإنسانِ لأخيهِ الإنسان، وكلُّ هذهِ الجرائمِ من الذينَ يؤمنونَ بفكرةِ بولس «الخلاص». فهل هذه الجرائمُ والخطايا مغفورةٌ بقتلِ الإله الابن، وإن كانَ كذلك، ألا يعدُّ هذا دعوة لإفشاءِ الجريمةِ باسمِ الدِّينِ، وباسمِ الخلاصِ والفداءِ ؟

خامساً ـ، إذا كانت هذهِ الخطايا ملازمةٌ لابنِ آدم بما كسبتْ يداهُ... فما قيمةُ هذا الفداءِ والخلاصِ، وما أثرهُ وما فائدتهُ، وهل ماتَ المسيحُ دونِ فائدة ـ حسبَ رأيكم ـ

سادساً : أليسَ في مثلِ هذا الفكرُ إهانةٌ للخالقِ العظيمِ جلَّ جلالهُ؟

يتابع الدكتور محمد متسائلاً : هل تعرفونَ أصلَ عقيدةِ الفداءِ والخلاصِ؟

الأستاذان BalmoriوAbrigo : نحبُ أن نسمعَ منكَ.

الدكتور محمد : إنَّ الذينَ اعتنقوا المسيحية في العصرِ الأولِ كانوا مازالوا متأثرينَ بما كانوا عليه من اعتقاداتٍ وثنيةٍ ويهوديةٍ، فاليهود كانوا يتشاركون مع الكنعانين، و المؤابين، والفينيقيين، والقرطاجيين وغيرهم ممن خالطوهم في ذلكَ الوقتِ، في عادةِ التضحيةِ بطفلٍ محبوبٍ لاسترضاءِ السَّماءِ، ثمَّ على توالي السِّنيين أصبحوا يستبدلونهُ بمجرمٍ محكومٍ عليهِ بالإعدامِ، وكان البابليون يلبسونَ هذهِ الضحيةِ أثواباً ملكيةً لكي يمثلَ بها ابنُ الملكِ ثمَّ يُجلدُ ويُشنقُ، ثمَّ جرى التخفيف، فأصبحتْ التضحيةُ بحملٍ أو جدي.

وفي ذلكَ يقول السِّير«فريزر» :

«في يوم الكفارةِ، كاهن اليهود الأعظم يضعُ كلتا يديهِ على جدي حي، ويعترفُ بجميعِ ما ارتكبوهُ بني إسرائيل من مظالمِ ثمَّ يذبحونهُ».

يؤكدُ ذلك العَلامة الكاثوليكي أستاذُ علمِ الأديانِ والتاريخ«ول. ديورانت» صاحبُ قصةِ الحضارةِ عندما يثبتُ أنَّ: «بولس اليهودي الذي كانَ في البدءِ عظيماً في اليهوديةِ ومحارباً تلاميذِ المسيحِ وملاحقاً لهم ـ اقرأ أعمالَ الرُّسلِ ـ ثمَّ أصبحَ رسولاً ومسيطراً ومشرعاً لهم، ومحارباً لمن بقيَّ من تلاميذِ المسيحِ ـ اقرأ« غلاطية ١١/٢» ـ، وزعمَ أنَّهُ أوحيَّ إليهِ من السَّماءِ وأنزلَ عليهِ إنجيلٌ جديدٌ خاصٌ بهِ غيرَ الإنجيلِ المنزلِ على المسيحِ«غلاطية ١١/١» وزعمَ أنَّهُ صعدَ إلى السَّماءِ، ولو كان يريدُ أن يغلو في نفسهِ لأدعى أكثرَ من ذلك«كورنتس الثانية ١/١٢ ـ ٦»، وكانُ يتلونَ بكلِّ عقائدِ الشُّعوبِ كما اعترفَ هو «كورنتس الأولى ٢٠/٩ ـ ٢٣»، فجاءتْ الأناجيل الأربعة والتي دونها تلاميذهُ، متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، بحسبِ أرائهِ واعتقاداتهِ، حتى أنَّ سيرتهُ وتعاليمهُ تزيد على سيرةِ وتعاليمِ المسيحِ أربعةُ أضعافٍ، مما لفتَ نظرَ الباحثين للتفكيرِ في صحةِ أسفارهِ وأقوالهِ».

ويُضيفُ العَلامة «ول ديورانت» في كتابهِ قصةُ الحضارةِ عما أحدثهُ بولس من عقائدِ وثنيةٍ ويونانيةٍ أدخلها إلى الدِّيانةِ المسيحيةِ، وكيفَ أنَّهُ أطلقَ لفظَ «الرَّبِّ، أو الإله»، ثمَّ اتبعهُ بفكرةِ «الفداءِ، والخلاصِ» حيثُ يقول :

«لقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجدُ لهُ إلا أسانيدٌ غامضةٌ في أقوالِ المسيحِ، و أساسُ لاهوتهِ : انقباضُ نفسهِ، وندمهِ، والصُّورةُ التي استحالَ إليها المسيحُ في خيالهِ، وتأثره بنبذِ الأفلاطونيةِ، والرواقيةِ للمادةِ والجسمِ، ولعلهُ تذكرَ سُنّة التضحيةِ الفدائيةِ«اليهودية الوثنية» للتكفيرِ عن الخطايا، وهذه الأسسُ هي أنَّ كلَّ ابنِ أنثى يرثُ خطيئةَ آدم. وأنَّ لا شيءٌ ينجيهِ من العذابِ الأبدي إلا موتُ ابنِ الإله، وقد كانَ ذلك أكثر قبولاً عندَ الوثنين، فكانت ألقابُ«سوتر» المنقذ و«اليوثريوس» المنجي تُطلقُ على الآلهةِ عندهم، وكانَ لفظُ كوريوس «الرَّبُّ» هو اللفظ الذي تطلقهُ الطُّقوسُ اليونانيةِ السُّوريةِ على ديونيس «الميتْ المفتدي»، وبقولهِ إنَّ المسيح قد قُتِلَ ليفتدي بموتهِ العالم الذي استحوذَ عليهِ الشَّيطانُ بسببِ خطيئةِ آدم، استطاعَ أن يمزجَ مبادئ اليهودِ بعقائدِ اليونان فيما وراءَ الطَّبيعةِ، وأوجدَ طقوساً خفيةً جديدةً، وأحلَّ العقيدة محلَ العملِ، ولسنا ننكرُ أنَّ هذا كانَ تغيراً يؤسفُ لهُ كلَّ الأسفِ في الدِّيانةِ المسيحيةِ».

هذهِ شهادةُ صدقٍ من أستاذٍ متخصصٍ في علمِ الأديانِ، وليسَ عدواً للمسيحيةِ بل يدينُ بها على المذهبِ الكاثوليكي.

والله ـ عزَّ وجل ـ جعل كتبة الأناجيل من حيثُ لا يشعرون يثبتونَ بأيديهم أنَّ المسيحَ عبدُ الله ورسولهِ، جاءَ بدعوةِ التوحيدِ للناسِ. وها هي الشَّواهدُ نستخرجها من نفس الأناجيل الحالية التي تدعي الألوهية للسيد المسيح:

«هو ذا عبدي ـ عيسى ـ الذي اخترتهُ، حبيبي الذي سُرَتْ بهِ نفسي»

متى«١٢/١٨»

«إنَّ إلهَ إبراهيم وإسحاق ويعقوب إله آبائنا قد مجدَ عبدهُ يسوع».

أعمالُ الرُّسلِ «١٣/٣»

«فإليكم أولاً أقامَ الله عبدهُ وأرسلهُ بركةً لكم»

أعمالُ الرُّسلِ «٢٦/٣»

الفصل الثاني

الأصول المسيحية وصراع «النصارى»- تلاميذ المسيح - مع «بولس» وسيطرة الكنيسة ٣٢٥م

منذ قرنين، بدأت في الغرب عملية علمية للبحث فيما جاء في الكتب المقدسة «العهد القديم و العهد الجديد»، و قد خلت قرون، و الناس عبرها كانوا يكتفون بقبولها على حالها، و قراءتها لم تكن تُسمح إلا بتمجيدها بتأملات مبرّرة، ذلك أن أي اتجاه إلى انتقادها كان يعتبر إثماً، و رجال الدين كانوا وحدهم المختصين الذين يمكنهم بيسر الحصول على المعرفة الشاملة فيها، أما أكثر العامة فما كانوا يتلقون إلا بعض المقطوعات المختارة في الاحتفالات الدينية أو من خلال تلقي المواعظ.

لقد تمكن العلماء و المفكرون من نقد النصوص الإنجيلية و أصبح اختصاصاً علمياً، و تم كشف و إذاعة مسائل ذات أهمية تطرح نفسها.

وظهرت بنتيجة البحث كمية لا يستهان بها من الكتابات الأكاديمية العلمية الحديثة، أبرزت بشكل واضح وجود فجوة هائلة بين المسيح النبي ورسالته وتعاليمه وبين المسيح الذي تؤمن به الكنائس الحالية التي تبنّت أفكار و معتقدات «بولس» الذي جاء بعد المسيح بـ ٣٠ سنة.

و لكن بحسب قول أحد الباحثين الغربيين في هذا المجال :

«إن المتشددين المسيحيين - سواء الكاثوليك منهم أم البروتستانت - لشدة توقهم للحفاظ على معتقداتهم بلا تغيير، لا يجرؤون على مواجهة النتائج التي تمخضت عنها مئتا عام من البحث العلمي في الكتاب المقدس».

وسنجد بنتيجة تلك الدراسات أن الإسلام سبق علماء الكتاب المقدس بأكثر من أربعة عشر قرناً في إنكاره شخصية المسيح الميثولوجية التي تخيلها بولس في المسيح، و إعلانه على الملأ شخصية المسيح الحقيقية التي هي غير عيسى كأنموذج آخر من الآلهة اليونانية ـ الرومانية الغامضة التي تأثر بها فكر «بولس» مؤسس المسيحية، و يكون بذلك قد أنصف السيد المسيح من بدع بولس و من التشويه الذي لحق برسالته، و بين المغزى و الهدف الحقيقي منها، و هو ما اختارت الكنيسة تجاهله.

ولا يدهشنا أن البروفيسور فنك Funk [17] مؤسسُ «ندوةُ عيسى»، على غيرِ إطلاعٍ منهُ على القرآن الكريم، توصلَ إلى النتائجِ القرآنيةِ التي جاءَ بها منذُ أربعةَ عشرَ قرناً، بل لقد فصلها على النحو التالي بقولهِ :

«يجبُ علينا البدءِ بإنزالِ عيسى منزلتهُ الحقيقيةِ لأنه هو نفسه طلب ذلك، وهذا دَينٌ له في أعناقنا، وإننا إن أنزلنا عيسى منزلته الحقيقية فسيصبحُ متاحاً لنا وصفهُ المؤسسَ الحقيقي للنصرانيةِ، وسيكف عن كونهِ معبوداً ميثولوجياً في أساطيرِ الآلهةِ التي تهبطُ إلى الأرضِ، ثمَّ تعودُ إلى السَّماءِ، تموتُ ثمَّ تحيا، وعندئذٍ فقط تصبحُ بعثتهُ ذات معنى، وبإمكاننا البدءُ بتحطيمِ هذهِ الأيقونة : عيسى الإله أو الابن، ونعيدها إلى ما كانت عليهِ في الأصلِ ليعودَ عيسى نفسهُ كما كان : محطماً للأصنامِ والأيقوناتِ».

إنَّ الاكتشافَ الذي حدثَ عام ١٩٤٥ م في نجع حمادي بمصر، والذي نجمَ عنهُ العثورُ على مخطوطاتٍ قديمةٍ باللغةِ القبطيةِ، قدمَ لنا حقائق هامة موافقة لما جاءَ في القرآنِ الكريمِ، حيثُ عثرَ ضمنها على سفرِ توما المشتملِ على تعاليمِ عيسى المسيح، والذي كانَ متداولاً بينَ النصارى في وقتٍ مبكرٍ إلى حوالي العام ٥٠ م بعدَ المسيح، أي قبلَ ظهورِ نشاطاتِ بولس المسيحيةِ على مسرحِ الأحداثِ، وقبلَ خرابِ القدسِ وتشتتِ تلاميذِ المسيحِ الحقيقيين، وقبلَ ظهورِ

[17] Funk. Robert، The Five Gospels، the jesus Seminar _ New york

الأناجيلِ الأربعةِ المعتمدةِ حالياً، وقبلَ سيطرة الكنيسةِ بقرارِ مجمعِ نيقية، وملاحقةِ الطّوائفِ الموحدةِ التي تنكرُ الثالوث المقدس، والتي لم تتأثرْ بمبتدعاتِ بولس اللاهوتيةِ.

ومن ذلك أنَّ سفر توما لا يعزو صفة الألوهيةِ إلى السَّيدِ المسيحِ، وإنَّما رسولاً بشراً أرسلَ ليدعو قومهُ إلى التوبةِ قبلَ فواتِ الأوان، كما أنَّهُ لا يحوي أي إشارةٍ إلى قصةِ الصَّلبِ التي كانَ أولُ من روجها مرقس المتأثرِ بتأملاتِ «بولس» - عندما كانَ مرافقاً لهُ، وليسَ فيها قصةُ الآلامِ - الخاصةِ بالصَّلبِ - التي ركزتْ عليها الأناجيلُ الأربعةِ [١٨]

والجديرُ بالذكرِ أنَّهُ كانَ يوجد لدى نصارى القدس سفرٌ خاصٌ بهم مدونٌ بالعبريةِ يدعى «سفر النصارى» الذي أحرقَ سنة ٣٢٥ م، واعتبرهُ مجمعُ نيقية من الأناجيلِ الزائفةِ «الابوكريفا» [١٩]

إنَّ اكتشاف مخطوطاتِ نجع حمادي بمصر، كانَ من أهمِ مفاجآتِ العصرِ الحديثِ خاصةً لوجودِ سفر توما من ضمنها، والذي تبينَ أنَّهُ على درجةٍ فائقةٍ من الأهميةِ، وأنَّهُ يعودُ تاريخهُ إلى الرُّبعِ الأخيرِ من القرنِ الأولِ بعدَ الميلادِ، أي قبلَ ظهورِ الإسلامِ بخمسةِ قرونٍ تقريباً، والواضحُ أنَّ سفر توما نجا من الحرقِ الذي كانَ مصيرُ بقيةِ الأسفارِ التي أحرقتْ على عهدِ الإمبراطور قسطنطين بعدَ مجمعِ نيقية الشَّهيرِ ٣٢٥ م.

وفي العامِ ١٩٩٣ م صدرت في أمريكيا طبعةٌ جديدةٌ لأسفارِ العهدِ الجديدِ الأربعةِ مضافاً إليها سفر توما المكتشفِ، وأطلقوا عليها اسمَ طبعةِ العلماءِ «Scholars Version»، واشتركَ في تحقيقها أكثرُ من مائتين من كبارِ العلماءِ ودكاترةِ اللاهوتِ في أمريكا من أساتذةِ الجامعاتِ، حيثُ أطلقوا على تجمعهم اسم ندوة عيسى«The jesuse seminar» ، وقد قرر محققو هذهِ

---

[١٨] المسيحية والإسلام والاستشراق - محمد فاروق الزّين - دار الفكر.

[19] **Penguin Books Robert، james the Brother Of jesus، «يعقوب اخ المسيح» Eisenman1997**

الطَّبعةِ أنَّ ٨٢٪ من الكلامِ المنسوبِ إلى عيسى في الأسفارِ الأربعة ورسائلُ بولس غيرُ صحيح[٢٠]

يذكر Sale ـ من كبار المؤرخينَ الفرنسيين - : أنَّهُ قبلَ ظهورِ محمد ـ صلى الله عليهِ وسلم ـ بزمنٍ طويلٍ كانتْ هنالك بعضُ الطوائفِ المسيحيةِ، وهم الكورنثيون والباسبليدون والكاربوكراتيون، التي تؤمن بأنَّ عيسى ـ عليهِ السَّلام ـ لم يُصلبْ وأنَّهُ إنسانٌ وليسَ لهُ صفةُ الإلهِ، ولكن أساقفة الكنيسةِ مارسوا عملياتِ قمعٍ وحشيةٍ ضدَّ كلِّ من أنكرَ ألوهية السَّيدِ المسيحِ وعقابهُ أن يُحرقَ حياً، وبدعمٍ من الإمبراطور قسطنطين قامتْ بتتبع آثارهم في الشَّرقِ من القرنِ الثالثِ حتى الرَّابعِ، وبخاصةٍ في فلسطين والجزيرةِ العربيةِ وشرقِ الأردن وسوريا، وبلادِ ما بينَ النَّهرين، واندمجَ بعضهم في الإسلامِ، الذي وجدوا فيهِ تتمة لتعاليمهم ومبادئهم المأخوذةِ مباشرةً من السَّيدِ المسيحِ، وثمةَ طوائف مسيحيةٌ في الوقتِ الحالي ما زالت تنكرُ ألوهية المسيحِ ونظريةَ الثالوثِ المقدسِ مثل الموحدون وشهود يهوه.

كتبَ البروفسور Geza vermes: «لم يكن النصارى يعتقدونَ بقصةِ آلامِ المسيحِ ولا بقصةِ صلبهِ وإنَّ سفر توما Thomas وبعض الأسفارِ المكتشفةِ حديثاً في نجعِ حمادى بمصر، لا بدَّ أن تكون اقربَ إلى الحقيقةِ فيما يتعلقُ بحياةِ عيسى من الأسفارِ القانونيةِ الأربعةِ، لأنَّها كُتبت في وقتٍ مبكرٍ أي حوالي ثلاثينَ عاماً قبلَ أولِ ما كُتِبَ من الأسفارِ الأربعةِ[٢١]

ومن تلكَ الأسفارِ المكتشفةِ رسالةُ شيتْ الكبير الثانية«Seth»، وقد وردَ فيها على لسانِ المسيحِ ما يلي: «لقد كانَ شخصاً آخر الذي شَرِبَ المرَّ والخلَّ، كانَ شخصاً آخر، شمعون، الذي حملَ الصَّليبَ على كتفهِ، كانَ شخصاً آخر الذي وضعوا تاجَ الشَّوكِ على رأسهِ، في حين كنتُ مبتهجاً في الأعالي من فوق...

---

[20] **Robert، james the Brother Of jesus «يعقوب اخ المسيح» Penguin Books Eisenman1997**
[21] **Vermes، Geza، jesus the jew، SCM press،1998، p 36.38**

كانَ خطؤهم... وكنتُ أضحكُ من جهلهم»

«٦/٥٦ - ٣٠»

أيضاً مخطوطةُ«رؤيا بطرس» المكتشفةِ في نجعِ حمادي، وردَ فيها :

«لقد رأيتهُ، وهم يقبضونَ عليهِ، فقلتُ من هو هذا الذي فوقَ الصَّليبِ يضحكُ مبتهجاً ؟ إنهُ البديلُ الذي دقُّوا المساميرَ في يديهِ ورجليهِ، لقد ألحقوا العارَ بشبيههِ الذي بقيَّ بينَ أيديهم»

رؤيا بطرس« ٤/٨١ - ٢٤»

وفي الأناجيلِ الحاليةِ على لسانِ بطرس إذ يقولُ :

«إنَّهم شنقوا المسيحَ على شجرةٍ.»[٢٢]

أعمالُ الرُّسلِ «٥/ ٣٠»

ويحسمُ القرآن الكريم الجدل بقولهِ :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾

النِّساء -١٥٧

من الدِّراساتِ الحديثةِ، البحث الذي تقدمَ بهِ الكاردينال «دانييلو» Danilo سنة ١٩٦٧ في مجلةِ «دراساتٍ في الأصولِ المسيحيةِ» يقولُ : «تشكلُ «جماعةُ الرُّسلِ» بعدَ المسيحِ مذهباً أميناً على الممارساتِ ومراسم المعبد، وهم «النصارى» أتباعُ المسيح، حيثُ انفصلوا عن بولس تماماً، بعدما تصادموا معهُ في حادثةِ إنطاكية أواخر ٥٠م»

بدأ بولس بتأسيس ديانة جديدة على طراز هلنستي إغريقي، موجه إلى اليونان والرومان الذين غرقوا في متاهة تعدد الآلهة التي على صورة بشر يصنعونها بأيديهم ثم يعبدونها.

---

[٢٢] في الطّبعاتِ الحديثةِ تم تحريفُ الجملةِ فأصبحت« يسوع الذي علقتموه على خشبةٍ وقتلتموه» أعمال «٥/ ٣٠»».

وهكذا فقد حول «بولس» السَّيد المسيح من رسولٍ من عندِ الله إلى إلهٍ إنسانٍ، ليكونَ قريباً مما ألفتهُ وتعودتْ عليهِ عقولهم، واعتبرَ نفسهُ رسولُ هذا الإله، لأنَّهُ من غيرِ المعقولِ أن يكونَ ثمةَ رسولٌ لرسولٍ، ومنذُ ذلك الحين بدأتْ تظهرُ مصطلحاتُ «الإلهِ المتجسد، والإلهِ الابن، والثالوث المقدس»

ومن سنة ٧٠ حتى ١١٠ بعدَ السَّيدِ المسيح، ظهرتْ أناجيلُ متى، مرقس، لوقا ويوحنا آخرهم، اللذينَ تتلمذوا على يدِ «بولس» وتبنوا أفكارهُ.

ومن يومها وعملياتُ التحريفِ والتبديلِ مستمرةٌ واضحةٌ، بل إنَّ رجالَ الكنيسةِ يمارسونه بأنفسهم حتى اليومِ، تحتَ ستارِ تنقيحِ الكتابِ المقدسِ، ويكتبون على غلافهِ بكلِّ جراءةٍ «الطَّبعة المنقحة من الإنجيلِ»، مما أفسح المجالَ ليضعَ كلٌّ منهم نظريتهُ ونظرتهُ وآراءهِ الخاصةِ.

فمثلاً، ترك قصداً الفقرة الثالثة والأربعين من البابِ الثاني والعشرين من إنجيلِ لوقا، وهي في النسخةِ اليسوعيةِ:«وأما ذلكَ اليومِ وتلكَ الساعةِ فما من أحد يعلمها، ولا الملائكةِ في السَّماءِ، ولا الابن»، لأنَّ بعضَ رجال الدينِ في الكنيسةِ رأوا تلكَ الفقرة منافيةٌ لألوهية المسيح، وتنفي صفة القدرةِ والعلمِ عنه ومؤيدةٌ لفرقةِ «أيريناوس».

لقد أسقطَ بولس الختان، والسَّبت، والغُسل و...، ومراسم عديدة، وقدمَ لليونانين خارجَ فلسطين تشريعاً جديداً، الذي هو من حقهِ كرسولٍ، فحلل الخمرَ والخنزيرَ و...، وخففَ جُرمَ الزنا (باعتبارهِ من غيرِ المستطاعِ على البشرِ تجنبهُ[٢٣]، وباعتبارهِ من الشَّريعةِ التي لعنها)، وأباح كل ما هو موافقٌ لأهواءِ الرومانِ وكل ما كانَ عيسى المسيح نفسهُ يتقيدُ بهِ.

«إني عالمٌ ومتيقنٌ في الرَّبِ - يسوع - أنَّ ليسَ شيءٌ نجسٌ بذاتهِ إلا من يحسبُ شيئاً نجساً»

رسالة بولس إلى رومه «١٤/١٤»

---

[٢٣] حسبَ فكرِ بولس : إنَّ الإثمَ طبيعةٌ، ولن تستطيعَ السَّيطرةَ عليهِ، فقط الإيمان بيسوع يجعلكَ بلا إثم، مثلاً إنَّ المرءَ لا يمتنعُ عن الزِّنا خوفاً من العقابِ ولكنَّهُ يمتنع حينَ يفقدُ رغبتهُ في ذلك.

«الحقُ أقولُ لكم، ما تربطونهُ في الأرضِ يكونُ مربوطاً في السَّماءِ، وما حللتموهُ في الأرضِ يكونُ محلولاً في السَّماءِ».

متى«١٨/١٨»

«لذلك أرى أن لا نثقلَ على الذين يهتدونَ من غيرِ اليهودِ»

أعمال الرسل «١٩/١٥»

«لو كانتْ الاستقامة بإتباعِ الشَّريعةِ[٢٤]، لكانَ موتُ عيسى بلا جدوى»

رسالة بولس إلى أهلِ غلاطية «٢١/٢»

«لماذا تخضعونَ لمثلِ هذهِ الفرائضِ:«لا تلمس، لا تذق، لا تمسك ذاك...» وهي كلُّها أشياءٌ تزولُ بالاستعمالِ، لها ظواهرُ الحكمةِ لما فيها من عبادةٍ خاصةٍ وتواضع وقهر للجسدِ، ولكن لا قيمةَ لها في ضبطِ أهواءِ الجسدِ»

رسالتهُ إلى كولوسي«١٣/٢ - ٢٣»

«ليكن معلوماً لديكم يا إخوتي أنَّهُ بواسطةِ هذا الرَّجل - عيسى» تمَّ إعلانُ المغفرةِ لخطاياكم، وبواسطتهِ يمكن لأيِّ شخصٍ يؤمنُ بهِ أن يتحررَ من كلِّ شيءٍ لم يكنْ بإمكانهِ التحررُ منهُ بحسبِ شريعةِ موسى»

أعمال الرسل «٣٨/٣ - ٣٩»

ذلكَ هو الفصلُ التام بينَ الإيمانِ والعملِ، والفصلُ التام بينَ الدِّينِ وقواعدِ السُّلوكِ الأخلاقيةِ، وكما جاءَ في رسائلِ بولس المذكورةِ، إنَّ نجاةَ المؤمنِ هو بالإيمانِ بعيسى كمنقذٍ وأنهُ مات على الصَّليبِ، وبالتالي تأتيهِ المغفرةُ اتوماتيكياً، بلا مقابلٍ أو أعمال، فهو هديةٌ مجانيةٌ، ولذلك لم يذكرْ بولس شيئاً عن تعاليمِ المسيحِ.

---

[٢٤] أسسُ الشّريعةِ التي حاربها بولس هي الوصايا العشر التي نزلتْ على سيدنا موسى« لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشتهِ امرأةَ غيركَ، اكرم اباك وامكَ، لا يكن لكَ آلهة سواي، لا تشهدوا زوراً...»، وجاءَ السَّيد المسيح فأكدَ عليها وزادَ عليها« راجع المدخل في الكتاب»

غيرَ أنَّ الحقيقةَ البسيطة، أنَّ السَّيدَ المسيح لم يتفوه بأيٍّ كلمةٍ في حياتهِ تفيدُ أنَّ الإنسانَ يتحررُ من تبعيةِ عملهِ بإيمانهِ أنَّ عيسى دفعَ الثمنَ مقدماً بالنيابةِ عنهُ.

لو صحَّ رأيُّ بولس ذاك لكانَ بمثابةِ رخصةٍ للفوضى الاجتماعيةِ والجريمةِ والتحلل الأخلاقي والفساد.

وشرحَ بولس وجهة نظرهِ التي أصبحتْ عقيدة ودين فيما بعد :

«لأنَّ خرقَ الشَّريعةِ يسببُ الغضبَ الإلهي، فعندما لا تكونُ شريعة، لا يكونُ بالتالي خرقٌ لها»

رسالة بولس إلى أهلِ غلاطية«١٥/٤»

«من قامَ بعملٍ فأجرتهُ حقٌ لا هبةٌ، أما من لا يقومُ بعملٍ، بل يؤمن بالذي يبررُ الخاطئ، فالله يبررهُ لإيمانهِ.. لأنَّ الشَّريعةَ تسببُ غضبَ الله،. وحيثُ لا تكون شريعة، لا تكون معصية»

رسالةُ بولس إلى رومة «٤/٤ ـ ١٥»

كيفَ يمكنُ للمجتمعاتِ أن تعملَ إن لم يكُن الأفرادُ مسؤولين عن أعمالهم؟ ماذا كانَ يأملُ «بولس» من هجومهِ على الشَّريعةِ التي تنظمُ المجتمعات؟

كانَ بولس يعتقدُ وبشكلٍ جازمٍ بقربِ النَّهايةِ ـ نهاية الدُّنيا ـ حرفياً وليسَ مجازاً، وعاجلاً وليسَ آجلاً، أي خلالَ أيامِ حياتهِ ـ والشَّواهد كثيرةٌ في الأناجيلِ ـ، ففي هذهِ الحالة لا يبقى هنالك مجتمعاتٌ بحاجةٍ إلى تنظيمٍ، وليسَ مبرراً للمؤمنين أن ينصرفوا لتنظيمِ أمورِ الدُّنيا طالما أنَّ :

«نهاية العالمِ تقتربُ بسرعةٍ والوقتُ قصيرٌ جداً والعودةُ الثانيةُ لعيسى فوقَ السَّحابِ وشيكاً».

متى «٢٨/١٦»، مرقس«١/٩»، لوقا «٢٧/٦»، يوحنا«١٨/٢» ورسالةُ بولس إلى طماس«١/٢»، ورسالتهُ إلى تسالونيك«٣/٢»

«أقولُ لكم : أيُّها الأخوة أنَّ الزمنَ ـ الباقي ـ قصيرٌ، فليكن الذينَ لهم نساءٌ كأنَّ لا نساء لهم، والذينَ يفرحون كأنَّهم لا يفرحون، والذينَ يتعاطونَ أمورَ هذا العالمِ كأنَّهم لا يتعاطون، وأنَّ العالم بشكلهِ الحالي قاربَ على نهايتهِ».

رسالة بولس الأولى إلى أهلِ كورنتوس«٢٩/٧ - ٣١»

والواضحُ إذاً أنَّ بولس لم يكنْ ينوي تأسيسَ ديانةٍ و تشريعٍ للأجيالِ القادمةِ، إذ لم يرَ حاجة لعملِ إصلاحاتٍ اجتماعيةٍ، ولا لتكوين نظام اجتماعي جديدٍ حيثُ أنَّهُ لم يتوقع أن يستمرَ العالمُ من بعدهِ، وهذا ما يساعدُ على فهمِ نظرياتهِ الاجتماعيةِ، لاعتقادهِ بعبث وعدمِ جدوى محاولاتِ التغيرِ طالما أنَّ الوقتَ الباقي قصيرٌ جداً.

كتبَ«ويلسون» Wilson :«كانَ بولس يظنُ أن بنهايةِ العالمِ في أيامهِ سيعودُ المسيح فوقَ السَّحابِ ويظهرُ لصحابتهِ وأنصارهِ المخلصينَ في القدسِ، حيثُ يُفترض في مجيئهِ الثاني أن يقضي على الإمبراطوريةِ الرُّمانيةِ، وينشئ بدلاً منها مملكةُ اللّهِ على الأرضِ، وتوقعَ بولس أن يكونَ معظمُ معاصريه على قيدِ الحياة لمشاهدةِ المجيء الثاني للسيدِ المسيح»[٢٥]

يقولُ بولس في الأناجيلِ :

«ثمَّ نحنُ الأحياء والباقون سنلتقي معاً في السَّحابِ لملاقاةِ الرَّبِّ -عيسى - في الجو».

رسالة بولس الأولى إلى أهلِ تسالونيكي«١٧/٤»

ومع أنَّ الأحداثَ برهنتْ خطأ توقعاتِ بولس فقد استمرَ بعضهم بالاعتقادِ بها، وبقيتْ الكنيسةُ متمسكةً بها كذلك، ولم تبحثْ لنفسها أي إمكانيةٍ عن التراجعِ أو المراجعةِ، ولم يعدْ من مصلحةِ أحد نسفها، وقد قامَ المنظرون واللاهوتيون بمحاولات لإخراجها بشكلٍ فلسفي وجدلي، مما ساهمَ بصورةٍ نهائيةٍ بتشويهِ ما بقي من رسالةِ عيسى الحقيقيةِ، وبعد بولس بعدةِ سنواتٍ كرر

---

[25]Wilson. A.N، paul، the Mind of the Apostle، 1977.p 208. 209.

«يوحنا» مؤلفُ سفرِ الرؤيا بتنبؤاتٍ مماثلةٍ، وقد قامتْ الكنيسةُ بإدخال سفرِ رؤيا يوحنا في وقت لاحقٍ في العهدِ الجديدِ رغمَ فشلِ نبوءاتِ يوحنا بشكلٍ سافرٍ، مثلما فشلتْ قبلهُ نبوءاتُ بولس.

وبعكسِ فكرِ «بولس» النّظري الفلسفي، نجدُ الفكرَ المنطقي العملي المأخوذ مباشرةً من السَّيد المسيح، وهو فكرُ «النصارى» تلاميذ المسيحِ الحقيقيين، حيثُ يقول يعقوب James الذي تزعم نصارى القدس :

«ما المنفعةُ يا أخوتي إن قالَ البعضُ أنَّ له إيمانٌ، ولكن ليسَ لهُ أعمالٌ - صالحةٌ - ؟ ألا تعلم أيُّها الإنسان التافه إنَّ الإيمانَ، بدونِ عملٍ صالحٍ، ميتٌ؟، ألا ترون أنَّ الأعمالَ الصالحةِ للإنسانِ هي المبررُ لهُ وليسَ مجردُ إيمانهِ ؟ فالإيمانُ بغيرِ الأعمالِ يكونُ في حدٍّ ذاتهِ ميتاً»

يعقوب «١٤/٢ - ٢٦»

«أنتَ تؤمن أنَّ الله واحدٌ، حسناً تفعل، كذلكَ الشّياطينُ تؤمنُ بهِ وترتعدُ، أيُّها الجاهل، الإيمان يكونُ عقيماً أو ميتاً من غيرِ أعمالٍ، فكما أنَّ الجسدَ بلا روحٍ ميتٍ، كذلكَ الإيمانُ بلا أعمالٍ ميتٌ»

رسالةُ يعقوب «١٩/٢ - ٢٦»

- فحتى اليسير الذي اضطروا إلى نقلهِ عن تلاميذِ المسيحِ الحقيقيين، يدلُ على رجاحةِ عقولهم ومنطقهم المأخوذ من المسيح.

«وإذا كنتَ تدينُ الشّريعةَ، فما أنتَ عاملٌ بها، هناكَ مشرع واحدٌ وديَانٌ واحدٌ، وهو الذي يقدرُ أن يُخلصَ وأن يُهلكَ».

رسالة يعقوب «١١/٤ - ١٢»

«يا إخوتي لا تحلفوا بالسَّماءِ ولا بالأرضِ ولا بشيءٍ آخر.... هل فيكم محزونٌ ؟ فليصلِ لله، وهل فيكم مسرورٌ فليسبحُ بحمدِ الله».

يعقوب «١٢/٥ - ١٣»

لهذا عمدتْ الكنيسة إلى حذفِ كثيرٍ من المعلوماتِ عن شخصيةِ يعقوب «زعيمُ النصارى»، في الأناجيل الحاليةِ، لكن اكتشاف وثائق وادي قمران قربَ البحرِ الميتِ عام ١٩٤٧ م كشفَ زيفَ الكنيسةِ[٢٦]

والسُّؤالُ هنا : لماذا زعمَ بولس في رسائلهِ أنَّ صحابةَ المسيحِ في القدسِ ليسوا سوى «إخوةُ الزِّيفِ» في حينِ أنَّ النصارى أتباع السَّيدِ المسيحِ أطلقوا على بولس لقب «الرَّسولِ المزيفِ»

في الأناجيلِ الأربعةِ تمَّ تصويرُ تلاميذِ المسيحِ بأنَّهم أغبياء وكسالى وبطيئوا الفهم، وقليلوا الاستيعابِ لرسالتهِ «مرقس ٣٣/٨»، بل سُكارى يغطونَ في النَّومِ، وذلكَ في أحلكِ الأوقاتِ عندما كانَ السَّيدُ المسيحُ مهدداً، وهروبهم أثناءَ القبضِ عليهِ. متى «٢٤/٢٦ -٤٥» و مرقس «٣٧/١٤ - ٤١»

فكانَ هذا مبررهم لتواصلِ عيسى المتوفى مع بولس وحدهُ دونَ غيرهِ، باعتبارِ - على زعمهم - لم يكنْ تلاميذُ المسيحِ جديرينَ بتلقي الإلهامِ والوحي الذي تلقاهُ وحدهُ» بولس» من المسيحِ.

«ونقولُ لو جاءَ رجلٌ يبشركم بإنجيلٍ غير الذي وصلكم منا، فلتكن عليهِ اللعنة»

رسالة بولس إلى أهلِ غلاطية «٨/١ - ٩»

يقولُ روجيه غارودي :» إنَّ بولس لم يأخذْ في إنجيلهِ من شهود حتى الذينَ رافقوا المسيح في حياتهِ، ونتساءل : لماذا لم يستشهد بولس بكلماتِ يسوع المسيح وتعاليمهِ وأفعالهِ ؟، أكانتْ قليلةَ الأهميةِ إلى هذا الحد، لدى المسيحيين، بل يذهبُ إلى :

«فأنا من الرَّب تسلمتُ ما سلمتهُ إليكم»

رسالة بولس الأولى إلى كورنتوس «٢٣/١١»

---

(26) Grant، Michel، the Twelve Caesars، Phoenix Giant، 1996

وبالرجوعِ إلى رسائله، نلاحظُ أنَّهُ لم يستعن بأيٍّ كلمةٍ من أقوال يسوع وأفعالهِ وحياتهِ، وكأنَّ رسالة المسيح لم تبدأ إلا بعدَ وفاتهِ عليهِ السَّلام، ونلاحظُ أنَّ إنجيلهُ فاقَ إنجيلَ السَّيدِ المسيح أربعةَ أضعافٍ.

«ولم استشر لحماً ولا دماً، ولا صعدتُ إلى أورشليم إلى الرُّسل الذينَ قبلي»

رسالتهُ إلى غلاطية» ٦/١ - ٧»

«إن عدتُ إليكم فلا أشفقُ على أحدٍ.. ما دمتم تطلبونَ برهاناً على أنَّ المسيحَ ينطقُ بلساني»

رسالتهُ الثانية إلى كورنتوس «١٣ /١ - ٣»

«مني أنا بولس، رسولاً لا من الناس ولا بدعوةٍ من إنسانٍ، بل بدعوةٍ من يسوع والله الآب».

رسالتهُ إلى غلاطية« ١/١»

وإذا كانَ بولس، بعدَ الرؤيا المزلزلةِ التي أفاقَ منها، يريدُ أن يحملَ رسالةَ يسوع، التي تلقاها منهُ مباشرةً، وكانَ الشَّاهد الوحيد فيها، فلماذا انتظرَ ثلاثَ سنواتٍ ليذهبَ ويستعلمَ عن حياةِ السَّيدِ المسيحِ من الذينَ كانوا شهوداً على هذهِ الحياةِ في القدسِ.

«وعرضتُ عليهم الإنجيل الذي أكرز - أبشرُ - بهِ بينَ الأممِ».

رسالتهُ إلى أهلِ غلاطية«٢/١٤»

والسُّؤالُ هنا : لماذا عرضَ» بولس» إنجيلاً غيرَ أنجلةِ عيسى المسيح ؟. ولماذا عرضهُ سراً على علماءِ القدسِ ؟ ألا يدلُ هذا السَّعي من» بولس» على تنظيمِ دعوة غير تلكَ الدَّعوةِ التي جاءَ بها المسيحُ.

«رأيتهم لا يسلكون باستقامة حسب إنجيلي».

رسالته إلى أهل غلاطية «٢/١٤»

يصرحُ» أوسكار كولمان»[٢٧] : «هذا التحولُ من حياةِ يسوع المتواضعةِ

---

[27] Sanders, E, P, Paul and Palestinian Judaism. 1996

والفقيرةِ إلى مهمةِ المسيحِ العالمية، قامتْ على«رؤيا» بولس على طريقِ دمشق، وكانَ هو الشَّاهد الوحيد على تلك الرِّسالةِ، ومنذئذٍ اعتبرَ رسالتهُ الميثولوجية - الأسطورية - الإغريقية أعلى من رسالةِ شهودِ العيانِ على حياةِ المسيحِ، حيثُ كانتْ » بحسبِ الرُّوحِ، لا بحسبِ الجسدِ»:

«اعلموا أنَّ الإنجيلَ الذي بشرتكم بهِ ليسَ صادراً عن البشر، فأنا ما تلقيتهُ ولا أخذتهُ عن إنسانٍ، بل عن وحيٍ من يسوع المسيح».

رسالتهُ إلى كنائسِ غلاطية» ١١/١ - ١٢»

وبذلك فقد نصبَ نفسهُ فوقَ أيِّ سلطةٍ زمنيةٍ دونَ أن يتيحَ لأحدٍ محاسبتهُ، فقد استمدَ سلطتهُ حصراً من عيسى الذي في السَّماءِ، ولهذا أوجبَ الاكتفاءَ بشهادتهِ وحدهُ.

«ولكنَ الله بنعمتهِ اختارني وأنا في بطنِ أمي».

رسالتهُ إلى غلاطية«١٥/١»

هذا كلُّ ما قالهُ«بولس» عن قصةِ اهتدائهِ بعدَ أن كانَ يُحاربُ أتباع المسيحِ ويلاحقهم لتسليمهم للسلطةِ الحاكمة في تلك الفترة، أما قصةُ اهتدائهِ التي كانت في طريقهِ من القدسِ إلى دمشق، فلم يتطرقْ إليها إطلاقاً، فقط لوقا ذكرها في إنجيلهِ ثلاثَ مراتٍ، وهذا ما يثيرُ الرِّيبةَ في أمرِ اهتدائهِ.

«وكانَ كلامي وتبشيري لا يعتمدان على أساليبِ الحكمةِ البشريةِ في الإقناعِ، بل على ما يظهره روحُ اللهِ وقوته..، بل هي حكمةُ الله السِّريةِالخفية التي أعدها الله قبل الدهورِ»

رسالتهُ الأولى إلى أهلِ كورنتوس «٤/٢ - ٧»

إذاً هو ليسَ بحاجةٍ لاستشارةِ الحواريين وصحابةِ المسيح كما أنَّهُ لم يكن بحاجةٍ إلى الاعترافِ بهم، حيثُ كانَ بزعمهِ الناطق الوحيد بلسانِ عيسى المسيح.

«نهدمُ الجدل الباطل وكلَّ عقبة، ونأسرُ كلَّ فكرٍ ونخضعهُ»

رسالتهُ الثانيةِ إلى كورنتوس«١٠ / ٥ - ٦»

«فالذي يباهون بهِ، وكلامي كلامُ جاهلٍ، أباهي بهِ أيضاً، وإن كانوا خدام المسيح،أقولُ هذا كأحمقٍ، فأنا أفوقهم»

رسالتهُ الثانيةِ إلى كورنتوس«٢١/١١ - ٢٣»

لقد صبَّ اللعناتِ على كلِّ من يُخالفهُ في عقيدتهِ حتى لو كانتْ ملائكة السَّماءِ.

«وما هناكَ «بشارةٌ أخرى»، فلو بشركم ملاكٌ من السَّماءِ ببشارةٍ غيرِ التي بشرناكم بها، فليكن ملعوناً، وأقولُ : إذا بشركم أحدٌ ببشارةٍ غيرَ التي قبلتموها منا، فاللعنةُ عليهِ»

رسالتهُ إلى كنائسِ غلاطية» ٨/١ - ٩»

بالنسبةِ لبولس لم تكنْ حياةُ المسيحِ ورسالتهُ على الأرضِ على جانبٍ من الأهميةِ، كانَ المهمُ فقط موت عيسى ثمَّ ظهوره لبولس دونَ غيره[٢٨].

«فلما كانتْ حكمةُ الله أن لا يعرفهُ العَالَم بالحكمةِ، شاءَ الله أن يخلصَ المؤمنين به بحماقةِ البشارةِ، بأنَّ المسيحَ مصلوباً، فما يبدو أنَّهُ حماقةٌ من الله هو أحكمُ من حكمةِ البشرِ...، إلا أنَّ الله اختارَ ما يعتبرهُ العالمُ حماقةً ليخزي الحكماء، واختارَ الله ما يحتقرهُ العالم ويزدريهِ ويظنهُ لا شيء».

رسالتهُ الأولى إلى كنيسةِ كورنتوس«١٩/١ - ٢٧»

ذلكَ هو الفصلُ التامِ بينَ العلمِ والإيمانِ، وبولس بهذا القول يلغي تماماً دورَ العقلِ، حيثُ يعترفُ أنَّ الإيمانَ يتطلبُ حماقةً، وأنَّكَ أيُّها المؤمنُ لن تفهمَ حقيقةَ الصَّلبِ والفداءِ إذا تحليتَ بالحكمةِ والعقل[٢٩].

---

[28] **Rubenstein، Richard، When jesus Became God، press 1999**

[٢٩] كل ما في الإسلام مرتبطٌ بالعلم، وفي القرآن والحديث الشريف الكثير من الإشارات العلمية التي لم يتم كشفها إلا في السنين الأخيرة من هذا القرن، وهذا ماجذب الكثير من العلماء والمفكرين إلى الإسلام. (راجع كتاب علماء الغرب ومفكروه ما الذي وجدوه في الإسلام والقرآن) أحمد شيخ البساتنة.

«من كانَ منكم يعتقدُ أنَّهُ رجلٌ حكيمٌ بمقاييسِ هذهِ الدُّنيا، فليكن أحمق ليصيرَ في الحقيقةِ حكيماً، لأنَّ ما يعتبرهُ العالمُ حكمة هو في نظرِ اللهِ حماقةٌ».

رسالتهُ الأولى إلى كورنتوس «١٨/٣ - ١٩»

وهذا ما شجعَ الناس للوصولِ إلى حالةِ الإلحادِ[٣٠]، وهذا ما عطلَ عجلةَ العلمِ في الغربِ طيلةَ قرونٍ في ظلِّ سيطرةِ الكنيسةِ، حتى ظهورِ حركةِ الإصلاحِ الدِّيني و ظهورِ فكرةِ فصل الدينِ عن الدَّولةِ، وهو عكسُ ما جاءتْ بهِ رسالةُ سيدنا محمد صلى الله عليهِ وسلم، المبنيةِ على تفعيلِ دورِ العقلِ، واشتراطها العلمَ للوصولِ إلى الإيمانِ باللهِ ـ تعالى ـ.

وفي النِّهايةِ يقولُ بولس :

«أطعتم بكلِّ قلوبكم تعليماتي التي تسلمتموها، فتحررتم من الخطيئةِ، وتعبيري هذا بشري يراعي ضعفكم البشري».

رسالةُ بولس إلى رومة «١٧/٦ -١٩»

قادتهُ عقليتهُ الهلنستية، وتأثرهُ بالميثولوجية الإغريقية، والتي كانتْ منتشرةٌ في بلدهِ طرسوس، عدا خيالهِ الواسعِ، إلى الاعتقادِ أنَّ عيسى المسيح لم يكنْ سوى منقذ من الطِّرازِ الهلنستي، كالآلهةِ التي تموت وتحيا من نوعِ ديونيس اليوناني، وهراكليس «هرقل عندَ الرومِ»، حيثُ كانَ مثلُ هذا المفهومِ مستساغاً جداً لدى معاصريهِ، التواقين إلى منقذين هرقلين، ولم يكنْ عندهم صعوبةٌ في قبولِ وتصديقِ الأساطيرِ مما سهلَ مهمةَ بولس إلى حدٍ كبيرٍ.

ذكرَ ويلسون « Willson » في كتابهِ «عقليةُ بولس الرَّسول» : أرادَ بولس

---

[٣٠] اذكرُ مرةً اني قرأتُ كتاباً كانتْ توزعهُ الكنيسة للكاتبِ الكاثوليكي جوش ماكدويل. وفيهِ سؤالٌ من طالبٍ في الجامعةِ وهو : إنَّ اموراً كالثالوثِ المقدسِ وطبيعةِ المسيحِ الإلهية مستحيلةٌ أو غيرُ معقولةٍ، إذ لا يمكن أن يولدَ الله، فالله روحٌ ومن طبيعةٍ غيرِ ماديةٍ، ايضاً لا يمكنُ أن يقدمَ نفسهُ لنفسهِ حسبَ عقيدةِ الصَّلبِ والتجسد . وتجيبُ الكنيسةُ : هذا ما أرادهُ بولس، ثانياً إنَّ كلَّ شيءٍ مستطاعٌ لدى الله) ا... (فأينَ دورُ العقلِ في هذا ؟).

من شخصيةِ المسيحِ أن تنافسَ وتتفوقَ على كثيرٍ من الشَّخصياتِ الهلنستيةِ المؤلهة.

وقبلَ زمنِ بولس سبقَ لليونان أن ألهوا الإسكندر الكبير وسموهُ «هرقل الجديد»، أي المنقذ أو المخلص »، وبعدَ موتهِ جعلوا منهُ رمزاً لعبادةٍ جديدةٍ.

أما الإمبراطور دوميتان فقد أصرَّ أن يخاطبهُ الناس بلقبِ «ربي وإلهي»، وهو نفسهُ اللقب الذي استعارهُ مؤلفُ السّفرِ الرَّبِع للعهدِ الجديد، «يوحنا». فوضعهُ على لسانِ الحواري توماس وجعلهُ يخاطبُ عيسى بها :«ربي وإلهي»

يوحنا «٢٠/٢٨ »

لقد أتاحتْ نشأةُ بولس في طرسوس، فرصةَ الإطلاعِ على أكثرِ المعارفِ تقدماً في عصرهِ، وكانتْ طرسوس مدينة جامعية مشهورة بفلاسفتها الرِّواقيين، حيثُ كانوا يؤمنون أنَّ هرقل باعتبارهِ نصف إلهٍ - أحد والديه من البشرِ والآخرُ إلهاً - هبطَ إلى عالمِ الموتِ فأصبحَ مخلصاً لقومهِ، وبصورةٍ مشابهةٍ قامَ بولس بتحويلِ عيسى إلى مخلصٍ Savior من الطّرازِ الهرقلي.

في هذا يقوُل ماك في كتابهِ «من كَتب العهد الجديد». «لقد كانتْ أسطورة كرستوس ردةَ فعلٍ مبالغٍ فيها ولم يكنْ لها مبررٌ».

في مثلِ هذهِ العقليةِ الجماهيريةِ والبيئةِ المناسبةِ، نشرَ بولس دعوتهُ واتخذتْ رسالةُ عيسى المسيح منحى جديداً وخطيراً خارجَ فلسطين، فقد تحولتْ إلى عبادةِ إلهٍ هلنستي جديدٍ سماهُ بولس باليونانيةِ » كريستوس» Chrestos، بمعنى » الخيرِ» وهو اللقب الذي كانوا يطلقونهُ على آلهتهم الهلنستية - آلهةِ الخيرِ وآلهةِ الخصبِ -، وبذلك تمَّ قبولُ السَّيد المسيح ضمنَ مصافِ الآلهةِ، في العام ٣٢٥ م في مجمعِ نيقية، وصدرَ القرارُ الإمبراطوري - من الإمبراطور قسطنطين - باعتمادِ ألوهيةِ عيسى رسمياً.

فقد كان لدى قسطنطين دوافعُ ذاتُ علاقةٍ بتوطيدِ حكمهِ، جعلتهُ يقبلُ المسيحية، إذ اعتبرَ منذ ذلك، الإمبراطور ممثل الله على الأرضِ، ومجسد إرادةِ اللهِ في الخليقةِ وبالتالي في حكمِ العالمِ.

وهذا ما صرحَ بهِ أسقف قيسارية يوزيبيوس «٢٦٠ ـ ٣١٩» م صاحبُ المؤلفِ الشهيرِ «تاريخ الكنيسةِ» [٣١].

كانَ هذا التحولُ من النصرانية الفلسطينية إلى المسيحيةِ الهلنستية نكسة خطيرة لرسالةِ عيسى المسيح، وهي لم تزلْ في مهدها، إذ جعلوا منهُ وثناً معبوداً بعدَ أن جاءَ هو نفسهُ لتحطيمِ الوثنيةِ والأوثانِ.

بل تعداهُ بعدَ حينٍ إلى والدتهِ السَّيدة مريم العذراء التي بجلوها باللقبِ اليوناني «تيو توكس» بمعنى والدةِ الإله، أو التي حملتْ الإله، واعتُمِدّ ذلك رسمياً عام ٤٣١ م، وفي العقليةِ الرومانيةِ، تمَّ تأليهُ السَّيدة مريم أيضاً، فقد شُبهتْ بآلهةِ السحرِ والخصبِ المسماة ديانا .Diana

يقولُ «الكاردينال دانييلو» : «بعدَ مجمعِ نيقية ٣٢٥ م، هيمنَ المسيحيون اليونان وحققَ بولس نصراً هو نفسهُ لم يكنْ يتوقعهُ في حياتهِ شخصياً، وبذلك تخلصتْ المسيحية اجتماعياً وسياسياً من النَّصرانيةِ الفلسطينيةِ».

لقد اجتهدَ فكرُ بولس الهلنستي في إيجادِ المبررِ الميثولوجي لحادثةِ الصَّلبِ البشعةِ بأنَّ المصلوبَ بعد أن أنقذَ البشريةِ وكفرَ عنها خطاياها بدمهِ، ارتفعَ وجلسَ على يمينِ اللهِ.

«وبعدما كلمَ الرَّب يسوع تلاميذهُ، رُفِعَ إلى السَّماءِ، وجلسَ عن يمينِ اللهِ».

مرقس «١٦/١٩»

تلكَ من بعضِ أفكارِ «بولس»، وكأنَّ اللهِ ـ عزَّ وجل ـ بجسمٍ مادي أو بحجمٍ قريبٍ إلى جسمِ المسيح، أو قد يكونُ أضخمُ بقليلٍ حسبَ ما رأى بولس !

وبدراسةِ فكرِ بولس، والذي أصبحَ عقيدة ودين عام ٣٢٥ م بعدَ مجمعِ نيقية، نجدُ أنَّهُ يكفي للإنسانِ أن يؤمنِ بقصةِ الصَّلبِ والآلامِ والفداءِ والقيامةِ، ويأكلُ من » القربانِ المقدسِ » في الكنيسةِ الذي يرمزُ للأكل من جسدِ المسيحِ وشُربِ دمهِ، لكي يحققَ النجاة في الآخرةِ.

---

(31) **Paul and The invention of Christianity، the My maker 1998، Maccby**

«لأنَّكم بالنعمةِ مخلصون بالإيمانِ ـ بالصَّلبِ والفداءِ ـ، وذلكَ ليسَ منكم، هو عطيةُ اللّه».

رسالة بولس إلى أهلِ أفسس «٢/٨»

طقسُ «القربانِ المقدسِ»[٣٢] ابتكارٌ آخر من مبتكراتِ بولس، كُتِبَ في الأناجيلِ بعد بولس بعقودٍ من الزَّمنِ، ومع ذلك فالسِّفرُ الرَّابعُ لا يعرفُ عن هذهِ القصةِ شيئاً، نسبتْ إلى السَّيدِ المسيح والقصة لا تليقُ بهِ كنبي يهودي آخر أنبياءِ اليهودِ ولا تتناسبُ مع احتفالِ عيدِ الفصحِ اليهودي.

تخيل بولس أن عيسى المسيح، عندما استسلم سلفاً للصليب، أمر صحابته أن يأكلوا من لحمه و يشربوا من دمه، في العشاء الأخير.

هذا التفكير من قبل بولس يلفت النظر، فكما أن اليهود كانوا يذبحون و يأكلون الخراف احتفالاً بعيد الفصح الذي هو ذكرى نجاتهم من فرعون مصر، فكذلك المسيحيون يأكلون لحم المسيح ـ خمل اللّه المذبوح على الصليب ـ و يشربون دمه في ذكرى خلاصهم من الذنوب، و هكذا من وجهة نظر بولس تم اختراع إله هلنستي جديد بمسمى «كريستوس»، لأن موت كريستوس كان كفارة لخطايا العالم، فهو بالتالي أصبح المنقذ أو المخلص الوحيد.

رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس «١٥/ ٣»

كان بولس هو المصدر الوحيد و الأول الذي أخبر عن قصة القربان المقدس، علماً أن الحواريين والنصارى في القدس لم يسمعوا أو يعرفوا به، و بولس نفسه يعترف في رسائله أنه لم يتلقهُ من صحابة المسيح، و لكن تلقاه من السماء مباشرة كما ذكرنا سابقاً.

المغزى من القربان المقدس، هو أن الخلاص قد تم بإهراق دم «كريستوس»، وهو تشبيه شديد الوضوح مع المفاهيم الوثنية الهلنستية لتكفير الذنوب

---

[٣٢] وهو ما نراهُ اليوم في الكنائسِ : حيثُ يقومُ رجالُ الكنيسةِ بإطعامِ المصلين قطعةً على شكلِ قرصٍ من عجينٍ يتكون من الطَّحينِ والنبيذ الذي يرمزُ إلى الأكلِ من لحم وشربِ دم السَّيدِ المسيح.

والخلاص، إذ جعلوا من عيسى قرباناً مقدساً. و هو من أكبر البراهين على أن المسيحية قد اشتقت من ميثولوجيا بولس، حتى إن السفر الرابع، وهو أكثر الأسفار إغراقاً في الميثولوجيا، لم يذكر شيئاً عن تأسيس طقس القربان المقدس! ـ أما العبارة الواردة في الإنجيل الرابع : «من يأكلُ لحمي ويشربُ دمي يتحققُ لهُ الخلد».

يوحنا «٦/٥٤»

فلا بد أنها إضافة متأخرة من أحد المنقحين الذين أحرجهم عدم وجود وصف لهذا الطقس في سفر يوحنا.

كان قدماء المصريين يعبدون الإله أوزيريس ويصنعونَ لهُ جسداً من عجينِ القمحِ ثمَّ يأكلونهُ قرباناً مقدساً، في حين أنَّ الجعة المخمرةِ من الشَّعيرِ كانتْ شراباً مقدساً، وكانوا يعتقدونَ أنَّ الخبز والجعة هما جسدُ ودمُ أوزيريس، وفي إحدى مخطوطاتِ الأهرامات:

«أنَّ الآلهة تعطيكَ من جسدها ومن دمها... لكي لا تموت ـ أيُّها البشرُ».

وفي دياناتِ الإغريقِ: الإله ديونيس Dionysus، الذي اعتبروهُ إلهاً مخلصاً ماتَ لأجلِ البشريةِ، يأكلونَ من جسدهِ ويشربونَ من دمهِ في طقوسِ القربانِ المقدسِ.

وفي ذلكَ كتبَ الأسقف جون سبونج Spong راعي أسقفيةِ نيوارك في نيوجرسي بالولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ ما يلي :

«على الغالبِ أنَّ طقوسَ أكل لحومِ البشرِ وشربِ دمائها هذه قد دخلتْ إلى المسيحيةِ عن طريقِ الدِّياناتِ المتنوعةِ الغامضةِ التي كانتْ منتشرة في شرقِ المتوسطِ كديانةِ ميثراس Mithras مثلاً».

إنَّ الاحتفالِ بطقسِ القربانِ المقدسِ أو «عشاءُ الرَّبِّ»، والذي اشتُقَ بالذاتِ من طقسِ عبادةِ الإله الهلنستي ميثراس، دفعَ بالمسيحيةِ بعيداً جداً عن ديانةِ عيسى، فاسم «عشاءُ الرَّبِّ» كانوا يطلقونهُ في الأديانِ الهلنستية الميثولوجية على

وجباتِ الطّعامِ المقدسةِ التي تكرسها آلهتهم المنقذة، مما سببَ حرجاً كبيراً لآباءِ الكنيسةِ الأوائل حتى أنّهم غيروا التسميةِ فجعلوها «طقس القربان المقدس»[٣٣].

كانتْ مدينة طرسوس، مسقط رأسِ بولس، مركزاً رئيسياً من مراكزِ عبادةِ الإله ميثراس، ومن أبرزِ معالمِ هذهِ العقيدةِ أنَّ على المعتنقينَ الجدد لها أن يشربوا من دمَ الثورِ الذبيحِ المقدسِ، فيشربوا كأساً من النَّبيذِ مجازاً عن دمِ الثورِ، مما يعتبرُ رمزاً للخلاصِ، ويبدو أنَّ بولس تأثرَ بها في شبابهِ لشيوعها في طرسوس، رغمَّ أنَّهُ كانَ يهودياً. والسَّيد المسيح ـ عليهِ السَّلام ـ كانَ يهودياً، وهو آخرُ أنبياءِ اليهودِ فكيفَ ينسبُ لهُ طقسَ القربانِ المقدسِ، وشُربُ الدَّمِ محرمٌ إطلاقاً ولو رمزياً عندَ النصارى ـ تلاميذِ المسيحِ ـ واليهودِ معاً كما يشهدُ بذلكَ سفرُ أعمالِ الرُّسلِ نفسهُ «سفرُ أعمالِ الرُّسلِ ١٥/٢٩»، ثمَّ إنَّ هذا التحريمَ استمرَ عندَ نصارى القدس لأجيالٍ طويلةٍ بعدَ بولس، ولأنَّ النصارى كانوا أعلم الناس برسالةِ عيسى وتعاليمه، فإنّهم لم يحتفلوا بطقسِ القربانِ المقدسِ قط.

ولا بدَّ أن هذهِ الفكرة، كانتْ ذاتُ جاذبيةٍ هائلةٍ لدى الهلنستين في الإمبراطوريةِ الرومانيةِ، فهناك ترنيمةٌ لعَبَدة ميثراس تقولُ «لقد خلصتنا أيضاً بأن سفكتَ الدَّم الخالد». وقد أفلحَ بولس في استنباطِ أوجهِ التشابهِ بين عقيدتهِ وبينَ معتقداتهم، مما جعلهم يشعرونَ بالألفةِ، إذ سُمحَ لهم أن يحتفظوا بعقائد واحتفالاتٍ ومناسباتٍ لهم اعتادوا عليها، وباعترافِ بولس :

«لذلك أرى أن لا نثقلَ على الذينَ يهتدونَ من غيرِ اليهودِ »

أعمال «١٥/١٩»

وهكذا فقد ابتكرَ بولس عقيدةً فارغةَ المحتوى لم يترك فيها للمسيحِ أي دورٍ مفيدٍ أو مغزى عملياً أو رسالة مفيدة للبشريةِ، بل أكثرُ من ذلك فإنَّهُ صورَ المسيح على أنَّهُ شخصيةٌ سلبيةٌ تتلقى الأحداثَ دونَ أن يكونَ لها دورٌ فاعلٌ نحوالغيرِ.

---

(33) Spong، Why Christianity Must Change or Die، 1998، p 194 _ 195

وقد يكون أحدُ أسبابِ ذلك، اعتقادُ بولس أنَّ نهايةَ العالمِ كانت وشيكة، بل على وشكِ الحدوثِ في حياتهِ شخصياً. «كما مرَّ معنا».

«اعلموا أنَّ الوقتَ قريبٌ على الأبوابِ، والحق أقولُ لكم : لن ينقضي هذا الجيلُ حتى يتمَ هذا كلهُ».

متى «٢٦/٦٤»

غيرَ أنَّ الأمرَ المحير كيفَ أنَّ الكنيسةَ استمرتْ في إصرارها على التمسك بعقائدِ بولس بعدَ اكتشافها الحقيقة المرة، أنَّ توقعاتهِ عن نهايةِ العالمِ والعودةِ الوشيكةِ الثانيةِ، كانتا خطأً فادحاً [٣٤]

إنَّ بولس لم يكنْ يخططُ لإنشاءِ ديانةٍ للأجيالِ القادمةِ، ولم يكنْ يتوقع أن يصلَ العالم إلى مرحلةٍ متطورةٍ من العلمِ[٣٥]، بحيثُ يرفضُ كلَّ ما هو غيرُ مرتبطٍ بالعلمِ والمعرفةِ، وهذه الدِّيانة التي جعلتْ من عيسى مجردُ شعارٍ لها، وحولتْ شخصية عيسى التاريخيةِ إلى شخصيةِ عيسى الهلنستيةِ الميثولوجيةِ المسماةِ باليونانيةِ كيريجما Kerygma والتي تعني الإعلان، حيثُ أطلقَ بولس على السَّيدِ المسيحِ اسمَ «كريستوس».

وقد آمنتْ بها المسيحية الحالية، وهي إعلانٌ عن آلهةٍ تموتُ ثمّ تحيا من جديدٍ في الدِّياناتِ الهلنستية اليونانية، ففي الميثولوجيا - الأسطورة - اليونانية : الإله دونيس، يطرح طبيعتهُ الإلهية جانباً ويتجولُ في عالمِ البشرِ مُخفياً حقيقتهُ. وهو إلهُ الحبِّ، وإلهُ الخصبِ، وإلهُ الخمرِ والنشوةِ، وكانَ هناك أوزيرس تحتَ اسمِ أدونيس Adonis، وفي اللغةِ الفينيقيةِ أدونيس معناها أدونAdon أي الرَّبُّ، وكانَ أدونيس إلها مخلصاً يصعدُ كلَّ ربيعٍ من عالمِ الأمواتِ ليعطي الحياة البشرية[٣٦].

---

[34] **Funk، Honest to jesus، 1996. p 43**

[٣٥] وهذا عكسُ ما تحدثتْ بهِ احاديثُ الرَّسولِ محمد صلى الله عليهِ وسلم من أنَّ الناس سيصلونَ إلى ذروة العلمِ في آخرِ الزَّمانِ.

[٣٦] المسيحية والإسلام و الاستشراقِ - لمحمد الزين - دار الفكر.

وقد قارنَ بولس من غيرِ قصدٍ ولكن بحصافةٍ ووضوحٍ بينَ شخصيةِ كريستوس ـ السَّيد المسيح في اليونانيةِ ـ وبينَ ديونيس قائلاً :

«رغمَ أنَّ عيسى كان في صورةِ اللهِ لكنَّهُ لم يعتبرْ مساواتهِ باللهِ اختلاساً، فجعلَ نفسهُ بلا سمعةٍ، وتقمصَ شخصيةَ الخادمِ متشبهاً بالبشرِ».

رسالة بولس لفليبي «٦/٢ - ٨»

«وبإمكانكم إذا قرأتم ذلك أن تعرفوا كيف أفهم سر المسيح، هذا السر الذي ما كشفه الله لأحد من البشر في العصور الماضية وكشفه الآن في الروح إلى رسله، ذلك السر الذي بقي مكتوماً طوال العصور في الله، ليكون للكنيسة الآن فضل إطلاع أهل الرئاسة والسلطة»

رسالة بولس إلى أهل أفسس «٤/٣ -٥»

وفي الوقتِ الذي تبدو فيهِ الكنيسةُ متمسكةً بعقيدةِ بولس، يحاولُ الكثيرُ من الأكاديميين وعلماءِ الكتابِ المقدسِ وبعض رجالِ الكهنوتِ إيجادَ بديلٍ عقلاني للوضعِ الراهنِ، ولكن دونَ نجاحٍ يُذكرُ والسَّببُ في ذلك أنَّهم يبتكرونَ نظرياتٍ جديدة من عندهم، فجعلوا الكثيرين من الناس ينكرونَ بعثةَ المسيحِ، ومنهم من ذهبَ إلى أنَّ المسيحَ لم يكنْ سوى واعظٍ ديني، وانكروا الوحي الإلهي الذي نزلَ عليهِ، ومنهم من حاول اختراعَ الأساطيرِ حولَ بعثتهِ.

والواضحُ جلياً من عقيدةِ نيقية التي تبنتْ فكرَ «بولس» اهتمامُ الكنيسةِ بالدَّرجةِ الأولى بنقاطٍ لاهوتيةٍ محضةٍ مثلُ ماهيةِ المسيحِ وهويتهُ، من حيثُ أنَّهُ إلهٌ، أو ابنُ إلهٍ، أو الابن المولودِ من الإلهِ، والمادةِ المصنوعِ منها، وأيضاً وجوده المسبق ثم وجودهُ اللاحق بعدَ وفاتهِ، وكلُّ هذه النظرياتِ التخمينيةِ، ولم تبدِ الكنيسةُ أيَّ اهتمامٍ ببعثةِ عيسى المسيحِ على الأرض ولا بتعاليمهِ ورسالتهِ وانعكاساتها العمليةِ على المجتمعاتِ البشريةِ، ولا أيّ تشريعٍ جاءتْ بهِ رسالتهُ.

لقد لعبتْ رسالةُ بولس الدَّورَ الأكبر في تبريرِ الحقِّ الإلهي المقدسِ للحكامِ والملوكِ والأباطرةِ عبرَ التاريخِ، وتمّ استخدامها كوسيلةٍ شرعيةٍ لقمعِ أيِّ معارضةٍ أو ثورةٍ أو نقد، حيثُ أعطى هؤلاء الحكام السُّلطةَ للكنيسةِ لقمعِ كلِّ من يخالفها، يقول بولس: «ليخضعَ كلُّ إنسانٍ لسلطةِ الحاكمِ، فالحكوماتِ الموجودةِ نصبها الله، فمن يُقاومُ الحاكمَ يقاوم قضاءَ اللهِ، ومن يقاومُ تحلُ عليهِ اللعنة، لأنَّ الحاكمَ ممثلُ الله تجاهكَ....، وإنَّهُ وكيلُ اللهِ».

رسالة بولس إلى أهلِ رومية «١٣/ ١ - ٤ »

ومنزلةُ المرأةِ عند بولس: «لا أسمحُ للمرأةِ أن تتعلم، ولا أن تتسلطَ وعليها أن تبقى صامتةً، آدم لم يُغوَ وإنَّما حواء أغويتْ وتعدتْ».

رسالتهُ الأولى إلى تيموثي «١٢/٢ - ١٤»

فبسببِ نظريةِ بولس للمرأةِ الدونية حصلَ في العصورِ المسيحيةِ كراهيةٌ لها ونظرَ إليها أنَّها مصدرُ العملِ الجنسي المنحط.

يقول : « من الحسنِ للرجلِ أن لا يتزوج ».

رسالة بولس الأولى إلى كورنتوس «١/٧»

ويقول: «أيها العبيد أطيعوا ساداتكم في كل شيء، لأنكم - بذلك - تخدمون الرب عيسى»

رسالته إلى أهل كولوسي «٢٢/٣ -٢٤»

وكانَ من تأثيرِ كتاباتهِ هذه، أن بررَ للعالم المسيحي العبوديةَ تسعةَ عشرَ قرناً تلتْ.

وبالرجوعِ إلى «العهد الجديد» أو مجموعةِ الأناجيلِ، سنجدُ فلسفةً وأفكاراً ـ لم يدرِ بها المسيحُ عليه السلام نفسهُ ـ قد فاقتْ أربع مراتٍ ما وصلنا عن السَّيدِ المسيحِ ـ عليهِ السَّلام ـ.

كانَ من نتائجِ أفكارِ بولس هيمنة الكنيسة التي أدتْ إلى تدهورِ العلومِ والتعليمِ في أوروبا بشكلٍ حاد وحلتْ الخرافات محلَ المعارفِ، حيثُ منعتْ الكنيسةُ انتشارَ الثقافةِ، باعتبارِ أنَّ العلم يشجعُ الإلحادَ والهرطقة، واستمرَ هذا الحالُ حتى حركة الإصلاح الدينية البروستانتية في القرن السَّادسِ عشر.

وحسبَ قولِ أحدِّ المؤرخين «الأب كَننفسّر» : «أنَّ الغربيين أمكنهم أن يصبحوا مفكرين، فقط عندما تحرروا من ربقةِ الكنيسةِ». ولم تزدهرْ الحضارةُ الغربيةُ إلا بعدَ أن تحررَ الغربُ من هيمنةِ الكنيسةِ، وهذا الموضوع أقرهُ البابا يوحنا بولس الثاني، من جملةِ أمورٍ أخرى، في اعتذارهِ الكبيرِ الذي طلعَ بهِ على العالمِ يوم ٢٠٠٠/٣/٧ ، قائلاً فيما أسماهُ ألفي سنةٍ من الأخطاءِ.

وعلى النقيضِ التامِ من ذلك، فإنَّ التصورَ العلماني الدُّنيوي أخذهُ القرآن الكريم في الاعتبارِ، وتكررتْ الآيات التي لا تفصلُ الدَّينَ عن الدُّنيا وتشجعُ على العلمِ والعملِ :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

القصص ٧٧

الفصل الثالث

ما جاء في الأناجيل يثبت أن المسيح لم يمت على الصليب بل أُنزل حياً

منذ عدةِ قرونٍ بدأت في العَالَمِ المسيحي بينَ أوساطِ المفكرين والمثقفين عمليةٌ علميةٌ للعودةِ إلى طرحِ قضيةِ الشَّكِ في قصةِ صلبِ السَّيدِ المسيحِ، تزامنتْ مع انتشارِ العلوم والمعارفِ، وتَقَلص سلطةِ الكنيسةِ، والسَّماحِ لعامةِ الشَّعبِ بالإطلاعِ ودراسةِ وقراءةِ الكتابِ المقدسِ ـ العهدِ الجديدِ ـ بعدَ أن كانَ تداولهُ محصوراً بينَ رجالِ الدِّينِ في الكنائسِ، حيثُ كانَ الناس يكتفونَ بترديدِ بعض التراتيلِ والأناشيدِ في المناسباتِ والاحتفالاتِ الدِّينيةِ.

كانَ المفكرُ «فينتوري» أول من أشاعَ «نظريةَ الإغماءِ» التي تقولُ إنَّ يسوع لم يمتْ على الصَّليبِ فعلاً، وإنما أغميَّ عليهِ من شدةِ الإعياءِ والنزيف، واعتقدَ الجميعُ بأنهُ ماتَ، لكنهُ ـ وبمساعدةٍ من يوسف الرَّامي الذي سُمحَ لهُ باستلامِ جسدِ يسوع بعدَ الصَّلبِ ـ أفاقَ فيما بعد، وظنَّ التلاميذُ والجموعُ أنَّ يسوعَ مات ثمَّ قامَ من الموتِ، وهو لم يمتْ أصلاً، وبذلك تكونُ نظريةُ الفداءِ التي تأسستْ على موتِ المسيحِ باطلة، وما قامَ على باطل فهو باطلٌ.

ومنهم من ذهبَ إلى أنَّ الجسدَ سُرق من القبرِ من قبلِ تلاميذِ المسيحِ أثناءَ نومِ الحرسِ، حيثُ أنَّ القبرَ وجدَ فارغاً ولا شهود على قيامته، كما أنَّهُ لا شهودٌ على موتهِ، فحسبَ الأناجيل أنَّ النسوة اللائي زرن القبرَ ـ كما سنوضحُ لاحقاً ـ وجدنَّ القبرَ فارغاً ووجدن ملائكة على هيئةِ أشخاصٍ واخبرهنَّ خبرَ القيامةِ قبلَ رؤيتهنَّ ذلكَ بالعينِ :

«ليسَ هو هنا، لأنَّهُ قامَ كما قالَ، هلم انظرنَّ الموضعَ الذي كانَ يسوع مضجعاً فيهِ»

متى «٦/٢٨ »

ويقول بولس «إذاً الإيمانُ بالخبرِ، وإذا لم يُصلب المسيحُ ثمَّ قام، فتبشيُرنا باطلٌ وإيمانكم باطلٌ، بل نحن شهودَ زورٍ على الله، لكن الحقيقة أنَّ المسيحَ قامَ من بينِ الأمواتِ »

رسالة بولس إلى كورنتوس الأولى «١٥/ ٢٠»

حديثاً وبعدَ الاكتشافِ الهامِ الذي حدثَ عام ١٩٤٥ في نجعِ حمادي بمصر - كما ذكرنا في الفصلِ الثاني - ظهرت حركاتٌ مسيحية توحيديةٌ رفضتْ فكرة موتِ المسيحِ على الصَّليبِ».

كأمثالِ مؤسسِ » ندوةِ عيسى » وهو البرفوسور Funk إذ يقولُ :

«إنَّ قصةَ الصَّلبِ ليستْ من الأمورِ المقطوعِ بها ».

وكَتَبَ أيضاً : « إنَّ قصةَ إلقاءِ القبضِ على المسيحِ ومحاكمتهِ وإعدامهِ هي في معظمها من نسجِ خيالِ مرقس، وأنَّ قصةَ الصَّلبِ لا تليقُ أن تحدثَ للمسيحِ إطلاقاً»[٣٧].

وكتبَ ويلسون A. N. Wilson :

«ليسَ هنالك من براهينِ حقيقيةٍ وصادقةٍ لقصةِ اعتقالِ عيسى وإعدامهِ».

أما البروفيسور بورتن ماك Burton Mack فليسَ لديهِ أيُّ شكٍ بخرافةِ القصةِ حيثُ كتبَ :

«أما بالنسبةِ لقصةِ الصَّلبِ والقيامةِ، فإنَّ مرقس - أول من كتبَ القصة - أخذَ الفكرةَ الأساسية من أسطورةِ كريستوس، غيرَ أنَّهُ تجرأ بأن تخيلَ كيفَ يمكنُ أن تبدو قصةَ الصَّلبِ والقيامةِ لو كتبها تاريخاً فعلياً تمتْ أحداثهُ في القدسِ، وهو ما كانتْ الأسطورةُ ترفضهُ، وهكذا يمكننا أن نفهم قصةَ

---

[37] Funk Robert _ The Five Gospels _ New york

مرقس باعتبارها دمجاً لأحداثِ عيسى الحقيقي مع أسطورةِ كريستوس».

وكتبَ : «كافةُ القصصِ في الأسفارِ الأخرى تبدأ من مرقس فلا يغيرُ أحدٌ من المؤلفين بعدَ مرقس أساس القصةِ».

أيضاً : «ثمَّ بعدَ ذلك صارَ المسيحيون يتخيلون قصةَ مرقس الخياليةِ كما لو كانتْ تاريخاً واقعاً » (٣٨)

اليهود زمن المسيح عمدوا إلى إظهارِ عيسى كنبيٍ كاذبٍ وملعونٍ، حينَ بدأ بكشفِ انحرافاتهم وابتعادهم عن الشَّريعةِ الحقيقيةِ، وتأثرهم بمعتقداتٍ وثنيةٍ جاءتْ من الشُّعوبِ التي خالطوها و.... (حسبَ ما هو مذكورٌ في العهدِ الجديد..)، وهذه طريقتهم في التخلصِ من كلِّ نبيٍ لا يأتي على حسبِ أهوائهم، ويرجعونَ إلى النصِ الموجودِ في العهدِ القديمِ ـ ما يسمونهُ التوراة ـ:

«فليقتل ذلكَ النبي».

سفر التثنية /الإصحاح «٢٠/١٨»

لذلك حاولَ كهنةُ اليهودِ قتلهُ على الصَّليبِ. وبغضِ النظرِ عن مدى حقيقةِ هذا النص، فإنهم ضغطوا على الحاكم الرُّوماني «بيلاطس» النبطي ليصلبَ المسيح، ليثبتوا بذلكَ كذبهُ، فهل أفلحَ اليهود حقاً في إماتةِ المسيحِ على خشبةِ الصَّليبِ.

يأتي القرآن الكريم بعدَ ستةِ قرونٍ ليعلنَ أنَّ عيسى المسيح نبيٌّ صادقٌ ورسولٌ من عندِ الله، وأنهُ لم يمتْ على الصَّليبِ، وإن كانَ اليهود قد أفلحوا في تعليقهِ على خشبةِ الصَّليبِ، لكنهُ أُنزلَ حياً ولم يمتْ، متهماً اليهود أنَّهم يدعونَ أمراً أقاموهُ على أساسٍ من الظَّنِ (٣٩).

﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾

النِّساء - ١٥٧

---

(٣٨) المسيحية والإسلام والاستشراق - لمحمد فاروق الزين - دار الفكر.

(٣٩) هل ماتَ المسيحُ على الصَّليبِ؟ للأستاذ سليم الجابي ماجستير علم الأديان المقارن.

وبذلكَ يكون القرآن الكريم قد طرحَ قضيةً قانونيةً تستوجبُ العقلَ والحكمةَ، فالمعلوم أنَّ القاضي في المحكمةِ يُطالبُ المدعي أول ما يُطالبهُ بهِ، بينةٌ - أو قرينةٌ - وشهودُ إثباتٍ.

القرآن الكريم طالبَ اليهود بالبينةِ وشهود الإثباتِ على ما ادعوا وزعموا، متحدياً إياهم أن يكونوا قد قتلوهُ يقيناً، كما طالبَ المسيحيين - الذينَ اختلفوا مع اليهودِ وسلموا بموتِ المسيحِ وبنوا على موتهِ نظرياتهم الوثنيةِ التي أصبحتْ ديناً إلى يومنا هذا - بذلك، فلا اليهود ولا المسيحيون يملكونَ أي أدلةٍ أو بينةٍ أو شهودِ إثباتٍ على موتِ المسيحِ، «وهذا ما سنبينهُ بالتفصيلِ» وسننطلقُ من بحثنا هذا في أمورٍ ثابتةٍ، ومن التفاصيلِ التي جاءتْ في الأناجيلِ الحاليةِ، فهي بالإضافةِ إلى أنَّها لا تحتوي أية إشارةٍ على موتِ المسيحِ على الصَّليبِ، فهي تثبتْ أنَّ المسيحَ لم يمتْ على الصَّليبِ، وهي بذلك تؤيد الطَّرحَ القرآني : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَاً ﴾

مثلاً إنَّ بقاءَ المسيحِ - حسبَ ما تذكرُ الأناجيلُ - ثلاث ساعاتٍ معلقاً على الصَّليبِ لا يمكن أن يُميتهُ في كلِّ الأحوالِ، إنَّ الرومان كانوا يستخدمونَ تلكَ الوسيلةِ في الإعدامِ ليبقى المصلوبُ أسبوعاً أو أكثر ليموتَ من الجوعِ والعطشِ.

ثانياً : وهو المهم أنَّ أحداً لم يرَ جثةَ المسيحِ بعدَ الصَّلبِ إن كانَ قد ماتَ فعلاً، وهذا ما يُبقي الشَّك قائمٌ إلى يومنا هذا، وهو ما يبطلُ عقيدةَ الفداءِ ويُبطلُ عقيدةَ القيامةِ حيثُ إنَّهُ لم يمتْ أصلاً، فعلى المستوى البشري فإنَّ أيَّ قضيةِ قتلٍ - وهنا هي قضيةُ قتلِ اليهود للمسيحِ - يتعرضُ لها القاضي في المحكمة لا يمكن أن يبت بها دون وجود قرينة الإثبات وهي جثة المقتول، وتبقى القضيةُ معلقة حتى توجد الجثةُ، وهذا ما سننطلقُ منهُ في البحثِ.

بدايةً: استندتْ عقيدةُ نيقية عام ٣٢٥ م التي تبنتْ فكرةُ بولس حولَ الصَّلبِ والقيامةِ والفداءِ على فقرةٍ من الكتابِ المقدسِ وهي :

«فسألوه (يقصد عيسى المسيح) أن يُريهم آيةً من السَّماءِ... فأجابهم : جيلٌ

فاسقٌ يطلبُ آيةً، ولن تعطى لهُ إلا آيةَ يونانَ النبي، فكما بقي يونان في بطنِ الحوتِ ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليالٍ، فكذلك يبقى الإنسانُ في جوفِ الأرضِ ».

انجيل متى «١٦/٤»

تلكَ النبوءة فهمها بولس فهماً خاطئاً، فهي لا تعني كما قالَ بولس أن المسيح سيموتُ ثمَّ يقومُ من الموتِ بعد ثلاثة أيامٍ وثلاثِ ليالٍ مثل يونان - يونس - الذي بقي في جوفِ الحوتِ، لسببين :

أولهما: أنَّ النبي يونان لم يمتْ في جوفِ الحوتِ بل بقي حياً.

ثانيهما: أنَّ المسيح - حسبما أجمعتْ الأناجيل - وضِعَ في القبرِ مخدراً مساءَ يومِ الجمعةِ عندَ غيابِ الشَّمسِ، وجاءتْ النسوة إلى القبرِ في فجرِ يومِ الأحدِ ولم يجدن المسيح[٤٠].

إذاً بعملية حسابية بسيطة نجد أن المدة ما بين مساء يوم الجمعة وفجر يوم الأحد لا تتجاوز نهاراً وليلتين، فأينَ هذهِ المدةُ التي تحدثوا عنها، (ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليالٍ) كالتي مكثها يونان في بطنِ الحوتِ، والتي اعتبروها وجهَ الشَّبهِ بينَ واقعتي يونان والمسيح؟

إنَّ المعلقينَ على الأناجيلِ يسكتونَ في غالبِ الأحيانِ أمام هذا الحدث على حسبِ ما قالهُ الدكتور «موريس بوكاي» في كتابهِ [٤١]

وبوجودِ هذا الخطأ الجسيم في حساباتِ «بولس» ، نستنتجُ أنَّه بنى وجهةَ نظرهِ على خطأٍ واضحٍ وعلى باطلٍ، وما بُني على باطلٍ فهو باطلٌ.

إنَّ المسيح تنبأ بواقعةِ الصَّلبِ بهذهِ النبوءةِ ولكن المغزى الحقيقي الذي حاولَ المسيحيون التغاضي عنهُ هو تشابهُ بقاءِ يونان حياً قبلَ ابتلاعِ الحوتِ لهُ وبعدهُ، وبينَ بقاءِ السَّيدِ المسيحِ حياً قبل دخوله القبر الذي وضعوه فيه وخروجه منه حياً

---

[٤٠] حتى قد يكون قد قام قبل مجيئهم القبر، فما أدراهم، حيث لا يوجد شاهد على قيامته، كما أنه لا يوجد شاهد على موته.

[٤١] موريس بوكاي دكتور فرنسي أسلمَ بعدما وجدَ الكثير من مطابقةٍ للعلمِ مع الحقائقِ العلميةِ في القرآنِ، وقد ألفَ كتاباً «دراسة الكتب السَّماويةِ على ضوءِ المعارفِ الحديثةِ» .

وأنَّ اللهَ تعالى سيحفظهُ فلا يدعهُ يموت على خشبةِ الصَّليبِ وذلكَ بتهيئةِ أسبابِ ووسائلِ نجاتهِ خلافاً لمشيئة اليهود ومقصدهم الدَّنيء.

وبالعودةِ إلى النُّصوصِ الإنجيليةِ الموروثةِ نستطيعُ أن نثبتَ عدم موت المسيحِ على الصَّليبِ، وبذلك لا يعودُ لليهودِ حجة على صدق نبوةِ المسيح الناصري، حيثُ وردَ في العهدِ القديمِ ـ أو التوراة حسبما يزعمون ـ أنَّهُ: «ملعونٌ كلُّ من يموتُ على الصَّليبِ»، وهي علامةُ النَّبي الكاذب.

أيضاً بإثباتِ عدمِ موتِ المسيحِ على الصَّليبِ سوفَ تبطلُ عقيدةُ الكفارةِ التي ابتدعها «بولس»، وبالتالي سيسلم المسيحيون واليهود بنبوتهِ ورسالتهِ وصدقهِ، وسيسلمون بالذي أنبأ عن ظهورهِ ورسالتهِ وهو محمد رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم الذي جاءهم بالحقِّ.

❖ ❖ ❖

القرائن والدلائل التي تثبتُ عدمَ موتِ المسيحِ على الصَّليبِ

كما أسلفنا سابقاً. أنَّ العلماء والمفكرين في العَالَمِ المسيحي قاموا بدراسةِ الأناجيلِ الحاليةِ، لوضعِ أسسٍ علميةٍ لتدعيمِ شكوكهم في موتِ المسيحِ الناصري على الصَّليبِ، فتوصلوا بنتيجتها إلى أنَّ تلكَ الأناجيل، ولو أُخذتْ على علاتها فهي تخلو من أيِّ إشارةٍ إلى موتِ المسيح على الصَّليبِ، كما توهمَ «بولس» وتلاميذهُ مَتى، ومرقس ولوقا، ويوحنا، والمسيحيون الذينَ تبنوا فكرهم من بعدهم، فيما حاولوا إظهارهُ بعدَ عملياتِ التحريفِ التي سنبيِّنُها لاحقاً، وقد دعمَ هذهِ الدِّراسات ما اكتُشفَ حديثاً سنة ١٩٤٥م في نجع حمادي بمصر ـ كما أوضحنا في الفصلِ الثاني ـ.

والسؤال الآن: ما هي القرائن والدَّلائل التي تشيرُ إلى عدمِ موتِ المسيح على الصَّليبِ، كما ذكرَ القرآن: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾

النِّساء - ١٥٧

القرينة الأولى: كلُّ عاقلٍ مفكرٍ، يفترضُ أن يُعلِنَ صاحبُ أي دعوةٍ أو رسالةٍ، من أولِ أيامِ دعوتهِ عن أُطر و فحوى رسالتهِ وأهدافها ومقاصدها، وأن يكونَ في إعلانهِ صريحاً وواضحاً أيضاً. خصوصاً إذا كانَ هذا الدَّاعيةِ نبياً ورسولاً من ربِّ العالمين.

إن صحَ ما زعمهُ أصحابُ الأناجيلِ من أنَّ المسيحَ أتى إلى هذا العالمِ ليموتَ فداءً لخطيئةِ آدم وحواء ومن ثمَّ يقومُ من بينِ الموتى، فقد كانَ متوجباً عليهِ أن يُعلنَ ذلكَ للناسِ ولتلاميذهِ بالذاتِ من أولِ أيامِ دعوتهِ، فلو فعلَ ذلك لتوجبَ أن ينتظرَ جميعَ هؤلاءِ التلاميذ تحقق هذهِ المعجزةِ، وبفارغِ صبرهم أيضاً.

ومن خلالِ التدقيقِ في ما نقلتهُ هذهِ الأناجيل، نلاحظُ عدمَ وجودِ معالمِ هذهِ الظاهرة حتى على صعيدِ الأقوالِ، فحسب ما جاءَ في الأناجيل، أنَّ النسوة الثلاثة فقط هن اللائي جئنَ إلى القبرِ فجرَ يومِ الأحدِ، ثمَّ إنهن ما سارعن للقاءِ المسيحِ بعدَ قيامتهِ، بل على حسبِ ما روى مرقس سارعن لدهنِ جسدِ يسوع بالطِّيبِ ـ حسبَ ما سنشرحُ لاحقاً ـ، ومن هنا ندركُ كباحثين مدققين، أنَّ تلاميذَ المسيحِ ما كانوا ينتظرونَ موتهُ وقيامتهُ ليصبحَ كفارةً عن ذنوبهم.

وهذهِ قرينةٌ يُثبتُ منها عكسَ ما زعمهُ رواةُ الأناجيلِ وأجمعوا عليهِ من أنَّ المسيحَ مات على الصَّليبِ، وقامَ من بينِ الأمواتِ، ليصبحَ كفارةً عن خطيئةِ آدم وحواء [٤٢].

وإذا رجعنا إلى إنجيلِ مرقس نلاحظُهُ قد قالَ: «أخيراً ظهرَ للأحدَ عشر وهم متكئون، ووبخَ عدمَ إيمانهم وقساوةِ قلوبهم لأنَّهم لم يصدقوا الذي نظروه».

مرقس «٤/١٦»

بل على حسبِ مَتى: «فلما رأوهُ سجدوا، ولكن بعضهم شكوا»

مَتى «١٧/٢٨»

---

[٤٢] هل ماتَ المسيحُ على الصَّليب للأستاذ سليم الجابي ماجستير علم الأديان المقارن.

حسب لوقا: «فقالَ لهم: ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطرُ الأفكارَ في قلوبكم؟ انظروا يديَّ ورجليَّ إني أنا هو، جسوني وانظروا فإنَّ الروحَ ليسَ لهُ لحمٌ وعظمٌ كما ترون لي».

لوقا «٢٤/٣٣»

القرينة الثانية : كلُّ عاقلٍ مفكرٍ، يفترضُ، إذا كانَ القصدُ من وجودِ المسيحِ في العالمِ ليفتدي خطيئةَ آدم وحواء بنفسهِ ليموتُ ومن ثمَّ يقومُ من بينِ الأمواتِ، وإن كانَ ابناً وحيداً للّه، وباراً بوالدهِ، ويحملُ قوى الربوبيةِ ـ على حسبِ قولهم» ـ فإن صحَ ذلكَ القصدُ وهذهِ الأمور، فإنَّهُ يُفترض أنَّ يُسمع من رواةِ الأناجيلِ، أنَّ المسيحَ النَّاصري كانَ ينتظرُ تحقق ذلكَ بفارغِ الصَّبرِ على يديهِ، فينتظر ساعةَ موتهِ على الصَّليبِ، ليرضي الذي أرسلهُ ويثبتَ عدمَ عقوقه لهُ، وليسَ أن يبدو حينَ تقتربُ السَّاعةُ تلك، حزيناً، خائفاً، ويُخاطبَ الذي أرسلهُ أن يُنجيهِ من هذهِ المحنةِ، ويطلبُ منهُ أن يعفيهِ من مهمتهِ تلك ـ كما وردَ في الأناجيل ـ، وكأنَّ الذي أرسلهُ لا يملكُ قلبَ حنانٍ على ولدهِ، بقدرِ ما يملكُ من حنانٍ على الذينَ يعصونهُ ولا يقيمونَ لوصاياهُ وزناً، ومن ثمَّ ينصرُ اليهودَ فيما كانوا يريدون، وبذلك يكونُ كما قالوا، النبي الكاذب يُقتل، وإن قُتِلَ فهو ملعونٌ.

وبالرُّجوعِ إلى الأناجيلِ نلاحظُ هذهِ القرينة :

إنجيلُ متى يروي على لسانِ عيسى: «ويلٌ لمن يُسلمُ ابن الإنسانِ، كانَ خيراً لهُ أن لا يولد».

متى «٢٦/٢٤»

ويروي لنا متّى ما أصابَ السَّيدُ المسيح: «فقالَ لهم: اقعدوا هنا، حتى أذهبُ وأصلي هناك، وبدأ يشعرُ بالحزنِ والكآبةِ، فقالَ لهم : «نفسي حزينةٌ جداً حتى الموت»».

متى «٢٦/٣٦ ـ ٣٨»

ويضيفُ متى : وابتعدَ عنهم ثانيةً وصلى قائلاً : «يا أبي إذا كانَ لا يمكنُ أن تعبر عني هذا الكأسُ، إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتكَ، فتركهم وعادَ إلى الصَّلاةِ مرةً ثالثةً وردد الكلامَ نفسهُ ».

متى «٢٦/٤٢ ـ ٤٤»

ولا يروي لنا رواةُ الأناجيلِ أيَّ جوابٍ سمعهُ المسيح الابن من أبيهِ الذي كانَ يسمعُ كلامَ ابنهِ الذي توسل إليه، فعلى الأقلِ كانَ عليهِ أن يواسيه ويصبرهُ ويشبعهُ حناناً، ولكن على زعمِ «مَتى» هذا الأبُ المزعوم كانَ يملكُ قلباً أشدَّ قساوةٍ من الحجارةِ الصَّماءِ، وهل يستسيغُ عقلُ القارئ إن يحدثَ هذا إن كانَ ما يرويهِ «مَتى» صحيحاً ؟

أما إنجيلُ لوقا فقد روى الحادثةِ نفسها ولكن بألفاظٍ مختلفةٍ، ومما ذكرهُ أن المسيحُ: «كانَ يُصلي بأشدٍّ لجاجةٍ، وصارَ عرقهُ كقطراتِ دمٍ نازلةٍ على الأرضِ».

لوقا «٢٢/٤٤»

ومن ثمَّ: «ظهرَ لهُ ملاكٌ من السَّماءِ يقويهِ»

لوقا «٢٢/٤٣»

وفي طبعاتٍ قديمةٍ أن الملاك ـ جبريل ـ قال لهُ بأن لا يخاف وأنَّ اللّه منجيه، ومن هنا فمن حقِّ كلِّ عاقلٍ أن يسأل : هل أن الملاك أتاهُ ليبشرَهُ أنَّ اللّه مؤيدهُ ومنجيهِ ثمَّ ضحكَ عليهِ وتركهُ بعدَ أن أطمأنَ لكلامهِ، لينالوا منهُ وهذا ما لا يقبلهُ عاقلٌ.

أما إنجيلُ يوحنا فلم يورد شيئاً عن حادثةِ الصَّلبِ سوى أنَّ المسيح قالَ :

«مجدْ ابنكَ ليُمجدكَ ابنكَ أيضاً، ليعرفوكَ أنتَ الإله الحقيقي، وحدكَ، ويسوع المسيح الذي أرسلتهُ».

يوحنا «١/١٧»

كلماتٌ بديعةٌ إذ هي التوحيدُ بعينهِ، لكن ما هي منزلةُ يسوع تجاهَ هذا الإله الحقيقي ؟ «ويسوع المسيح الذي أرسلتهُ». أي أنّ يسوع اعترفَ وحسب ما جاءَ في الأناجيل من خلالِ هذهِ الجملةِ أنَّهُ مجردُ رسولٍ من عندِ الله ـ عزَّ وجل ـ فلا هو ربٌّ ولا هو ابنُ الله، ولا هو الفادي كما قالَ » بولس ».

القرينة الثالثة : لا بدَّ لكلِّ عاقلٍ ومفكرٍ أن يفترضَ أنَّ المسيح المتنبأ عن ظهورهِ في التوراة، أن تكونَ التوراة نفسها قد أنبأتْ عن أنهُ سيكونُ ابنَ الله، وأنَّهُ سيموت تكفيراً عن خطيئة آدم وحواء ويقومُ من الموتِ، ويُصبحُ كفارةً لمن يؤمنُ بصلبهِ وقيامتهِ كما أرادَ «بولس» وتلاميذهُ أصحابُ الأناجيل.

وإن نحنُ عدنا إلى الصِّراعِ الذي دارَ بينَ كهنة اليهود وبينَ المسيحِ الناصري، لا نجدُ أنَّهُ دارَ حولَ هذهِ النُّقطةِ وهذهِ العقيدةِ، بل حولَ كونهِ نبياً صادقاً أو كاذباً، وحولَ نبوتهِ وتعاليمهِ.

يقولُ السَّيدُ المسيحِ حسبما جاءَ في الأناجيلِ التي تدعي أنَّهُ ربٌّ أو ابنُ اللهِ :

«لا تظنوا أني جئتُ لأنقضَ الناموسَ أو الأنبياءَ، ما جئتُ لأنقضَ بل لأكمل».

متى «١٧/٥ »

فالمسيحُ الناصري لم يدعِ أنَّهُ جاءَ بأمرٍ يخالفُ التعليمَ التوراتي، وإنَّ عقيدةَ "الكفارة" التي يعتقدها رواةُ الأناجيلِ، تخالفُ صريحَ التعليمِ التوراتي، وإذا انتهتْ بموتِ المسيحِ على الصَّليبِ، فاليهود يُعذرونَ إن هم لم يؤمنوا بنبوتهِ.

القرينة الرَّابعة : كلُّ عاقل مفكرٍ لا بدَّ من أن يرجعَ إلى أقوالِ المسيحِ نفسه ليحددَ دائرةَ المهمةِ والرِّسالةِ التي بعثهُ الله تعالى ليؤديها.

والذي نلاحظهُ أنَّ المسيحَ كانَ يكررُ جملةً أساسية في مناسباتٍ عديدةٍ، وهي قولهُ :

«لم أرسل إلا إلى الخرافِ الضَّالةِ من بني إسرائيل».

متى«١٥/٢٤»

فالمسيحُ عبرَ عن أسباطِ بني إسرائيل المشتتةِ خارجَ فلسطين، والتي سباها بختنصر ملكُ العراقِ سنة ٥٨٨ قبلَ المسيحِ، والتي لم يعدْ منها إلى فلسطين إلا سبطان، سمحَ لهما وريثُ بختنصر على عرشهِ بالرجوع.

وقد صرحَ المسيحُ في إنجيلِ يوحنا بقولهِ :

«ولي خرافٌ أُخر ليستْ من هذهِ الحظيرةِ - أي خارجَ فلسطين - فتلكَ أيضاً لا بدَّ لي أن أقودها، فتكونَ رعيةً واحدةً».

يوحنا «١٦/١٠»

أي أنَّ المسيح النَّاصري مكلفٌ بصورةٍ رسميةٍ، أن يسيحَ إلى الأقطارِ خارجَ فلسطين، التي يتواجدُ فيها الشّتّاتُ من خرافِ بيتِ إسرائيل وهم أسباط إسرائيل والتي توزعتْ في بلادِ فارس وما وراءها [٤٣].

فإن ماتَ المسيحُ على الصَّليبِ، لن يعودَ قادراً على الهجرةِ لتبشيرِ الخرافِ الضَّالةِ التي ليستْ في فلسطين.

تلكَ هي القرائن التي قادتْ المفكرين والعلماء إلى الاعتقادِ بعدمِ موتِ المسيح ونهايةُ رسالتهِ المقدسةِ بهذا الشّكلِ المهينِ، هذا بالإضافةِ إلى الطَّرحِ القرآني : «وما قتلوه يقيناً»، ومع ما لدينا من نبوءةِ النبي يونان التي ذكرناها سابقاً، وهناكَ ما وردَ في التوراةِ من أنَّ «البار المتألم محمي في المحنةِ »

التوراة سفرُ المزاميرِ «٢١/٣٤»

❖ ❖ ❖

والآن سنقومُ باستعراضِ فقراتِ حادثةِ الصَّلبِ كما أجمعتْ عليها الأناجيل الأربعة [٤٤]، لنستخرج من خلالها الأدلةِ التي تثبتْ أنَّ المسيح لم يمتْ على الصَّليبِ.

بدايةً : تروي الأناجيل أنَّ كهنةَ اليهودِ أرادوا قتلَ المسيحِ - عليهِ السَّلامِ -،

---

[٤٣] هل ماتَ المسيح على الصَّليبِ للأستاذ سليم الجابي. ماجستير في علمِ الأديانِ المقارن.

[٤٤] حسبَ قولِ الكنيسةِ : إنَّ الأناجيل يكملُ بعضها بعضاً، فما لا نجدهُ في إنجيلٍ، نجدهُ في إنجيلٍ آخر.

للأسبابِ التي ذكرناها في المقدمةِ، وهي أنَّ السَّيدَ المسيح لم يأتِ حسبَ أهوائهم وحسداً ومحاولتهِ كشفَ انحرافاتهم، فقاموا بالوشايةِ للحاكم الروماني في تلكَ المنطقةِ وهو «بيلاطس النبطي»، على أنَّ المسيح أدعى أنَّهُ ملكٌ وهو يحرضُ الناس على الفتنةِ والكفرِ ويمنعُ الناس عن دفعِ الضَّريبة للقيصرِ .

«لوقا ٢٣/٢»

وقاموا بعدَ ذلك بتسليمهِ إلى ذلكَ الحاكم لمحاكمتهِ على تلكَ التهم ولكن الحاكم كان مقتنعاً ببراءةِ السَّيدِ المسيحِ من أيةِ تهمةٍ سياسيةٍ، فقد شعرَ بأنَّ المشكلة لم تكنْ سوى نزاع داخلي صرفٍ بينَ اليهودِ أنفسهم، خاصةً وأنَّ المسيح كانَ يدعو تلاميذهُ إلى نبذِ العنفِ والتصادمِ مع السُّلطةِ حسبَ ما روى متى «٢٧/١٧»، «وعندما سألهُ الفريسيون: ما رأيكَ ؟ أيحلُ لنا أن ندفعَ الجزيةَ إلى القيصرِ أم لا ؟ قالَ لهم: ادفعوا، إلى القيصرِ ما للقيصرِ، وإلى الله ما لله»».

متى «١٥/٢٢ - ٢١ »

كانَ الحكام الذين تعينهم روما في المقاطعاتِ على مستوى من الحكمةِ، وخاصةً في فلسطين حيثُ كانوا يتعاملونَ بحذرٍ مع زعماءِ اليهودِ، ويبذلونَ مجهوداً لتفادي استعداءِ الرأي العام وتجنبِ الثوراتِ.

أرادَ بيلاطس وقتئذ التخلصَ من الإحراجِ فأرسل السيد المسيح إلى ملكِ اليهودِ في الجليلِ وهو هيرود أنتيباس، ليتحملَ مسؤوليتهُ، فأرجعهم إلى بيلاطس.

وهنا يوجهُ بيلاطس السُّؤال التالي إلى المسيحِ : «هل أنتَ ملكُ اليهودِ ؟ فأجابَ عيسى : مملكتي ليستْ من هذا العالم، فلو كانتْ مملكتي من هذا العالم لكانِ خدامي جاهدوا كي لا أُسلمَ إلى اليهودِ، أما مملكتي ليستْ من هنا».

يوحنا «٣٣/١٨ - ٣٦»

وهكذا أكدَ المسيح لبيلاطس أنَّ مملكتهُ روحيةٌ صرفةٌ وأنَّ ليسَ لهُ

مطامعٌ[٥٥] دنيويةٌ، مما أقنعَ بيلاطيس تماماً، حيثُ التفتَ إلى اليهودِ وقالَ لهم :

«لا أجد فيهِ عِلة على الإطلاقِ ».

يوحنا «١٨/٣٨ »

- «بيلاطس» أدركَ أنَّ المشكلةَ يهوديةٌ داخليةٌ بحتةٌ :

«لأنَّهُ عَلِم أنَّ رؤساءِ الكهنةِ كانوا قد سلموه حسداً».

مرقس«١٥/١٠»

وقد تعززتْ قناعةُ بيلاطس ببراءةِ عيسى عندما وصلتهُ رسالةٌ من زوجتهِ كتبتْ فيها : «إياكَ وإيذاءِ ذلكَ الرَّجلِ البارِ، فقد تألمتُ الليلة في الحلمِ كثيراً من أجلهِ» .

متى «٢٧/١٩ »

ونلاحظُ من كُتابِ أعمالِ الرُّسل أنَّهُ لم يكنْ من عادةِ الرومانِ الحكمَ بالإعدامِ على أحدٍ لمجردِ إرضاءِ رغبةِ الغوغاءِ، ولا حتى ارضاءً لرؤساءِ الكهنةِ ! وعلى فرض أنَّ ذلك لم يكن نابعاً من الرَّغبةِ بتحقيقِ العدالةِ فعلى الأقلِ من بابِ الحرصِ على استتبابِ الأمنِ والخشية من العواقبِ السِّياسيةِ وتفادي استفزازِ العوامِ، خاصةً وأنَّ المؤمنينَ بهِ كانوا كثيراً، حسبَ ما جاءَ في متى :

«فهموا أن يمسكوه ولكنهم خافوا من الجموع لأنَّهُ كانَ يعدُّ عندهم نبياً».

متى «٢١/٤٥ ـ ٤٦»

أيقن بيلاطس ببراءةِ المسيحِ، وكانَ يدركُ من قبل أنَّهم أسلموهُ حسداً، وبمجيء خطابِ زوجتهِ الذي ألهبَ مشاعرهُ كانَ الدَّافعَ الأقوى لتصميمهِ على إنقاذِ المسيحِ من يدِ اليهودِ الغوغائيين، الذينَ كانَ يكرههم، خاصةً بعدَ أن أهانوهُ وهددوهُ بالشكوى إلى القيصرِ.

---

[٥٥] لا يُجيبُ بمثل هذا الجوابِ المنطقي إلا من كانَ نبياً، فلو كانَ مبعوثاً ليموتَ على الصَّليبِ ليصبحَ كفارةً عن الذنوبِ، لواجهَ بيلاطس بهذهِ الحقيقةِ ولطالبَ بالتعجيلِ بصلبهِ، خاصةً وأنَّ لليونانين ديانةٌ وثنيةٌ، ولا مشكلةٌ عندهم من الادعاء بأنَّهُ على الشكلِ الذي تصورهُ بولس، حيثُ عندهم من الآلهةِ التي تموت وتحيا الكثير (الفصل الثاني).

«فحاول بيلاطس بعدَ هذا أن يخلي سبيلهُ، ولكن اليهودَ صاحوا : «إن أنتَ أخليتَ سبيلهُ، فما أنتَ من أصدقاءِ القيصرِ، لأنَّ من يدعي المُلك يكونُ عدواً للقيصرِ ».

يوحنا « ١٢/١٨»

حاولَ بيلاطس إقناعَ اليهودِ بالعفو عن المسيحِ وإطلاقِ سراحهِ بإسلوبٍ دبلوماسي

«من تريدونَ أن أطلقَ لكم، باراباس أم يسوع الذي يُقالُ لهُ المسيح ؟. وكانَ بيلاطس يعرفُ أنهم من حسدهم أسلموا يسوع ».

متى «١٧/٢٧ ـ ١٨ »

«قالَ بيلاطس : قلتم إنَّهُ يضللُ الشَّعبَ، ففحصتهُ أمامكم، فما وجدت أنَّهُ ارتكبَ شيئاً مما تتهمونهُ بهِ، ولا هيرودس وجدَ أيضاً، لأنَّهُ ردهُ إلينا، فلا شيء إذاً فعلهُ هذا الرَّجلُ يستوجبُ بهِ الموتَ، فسأجلدهُ وأخلي سبيلهُ.. فخاطبهم بيلاطس ثانيةً لأنَّهُ كانَ يريدُ أن يُخلي سبيلَ يسوع، فصاحوا «أصلبه»، فقالَ لهم ثالثة : «وأيُّ شرٍّ فعلهُ هذا الرَّجلُ»، فسأجلدهُ وأخلي سبيلهُ، فألحوا عليهِ بأعلى أصواتهم....»...

لوقا «٢٣ / ١٤ ـ ٢٣»

«فقالَ لهم بيلاطس : خذوهُ أنتم واصلبوهُ، فأنا لا أجدُ سبباً للحكمِ عليهِ، فاشتدَ خوفُ بيلاطس عندما قالوا لهُ إنَّ شريعتنا تحكمُ عليهِ بالموتِ، ورجعَ إلى يسوع وقالَ لهُ : «ألا تعرف أنَّ لي سلطةً أن أخلي سبيلك»....، وكانَ يومُ الجمعةِ نحو الظهرِ،.... فقالَ لهم بيلاطس : أأصلبُ ملككم، فأجابَ الكهنة : لا مَلكَ علينا إلا القيصر ».

يوحنا «٦/١٩ ـ ١٥»

«لكن رؤساءَ الكهنةِ حرضوا الجموع.... فأجابوا «أصلبه» فقالَ لهم : «وأيُّ شرٍ فعل ؟»... فلما رأى بيلاطس أنَّهُ ما استفادَ شيئاً، بل اشتدَّ الاضطرابُ، أخذَ

ماءً وغسلَ يديهِ أمامَ الجموعِ وقالَ : « أنا بريءٌ من دمِ هذا الرَّجلِ! دبروا أنتم أمره»».

متى «٢٧/٢٠ - ٢٤»

عندما يئسَ «بيلاطس» من محاولته إقناع اليهودِ بالعفو عن المسيح الذي لم يرتكبْ إثماً يدينه القانون الروماني، اندفع بمحرك من مشاعره الإنسانية النبيلة، و رؤية زوجته التي زلزلته، و مسؤوليته عن قتل بريء تجاه الإمبراطور الذي عينه والياً على فلسطين، و ثأراً لكرامته التي استهان بها اليهود، قام بوضع خطةٍ لإنقاذِ المسيحِ خلافاً لمشيئةِ اليهود، تتضحُ معالمها من خلالِ النُّصوصِ الإنجيليةِ، التي تُرينا أن بيلاطس أختطَ مسارين اثنين : الظَّاهرِ منهما يشيرُ إلى استجابتهِ لرغبةِ اليهودِ، والباطن والخفيُّ منهما يساعدُ المسيح لإنقاذهِ من الموتِ على خشبةِ الصَّلبِ.

وهذهِ الخطةُ إن دلت على شيء فهي تدلُ على لياقةِ بيلاطس الذي عُرِفَ عنهُ الحكمةَ وواسع الثقافةِ، وبعدَّ النظرِ في معالجةِ مثلِ هذهِ الأحداثِ المعقدةِ.

وقد كانَ بيلاطس حذراً أشدَّ الحذرِ في تنفيذِ خطتهِ - كما سنبين لاحقاً -، فلم يفطنْ اليهودُ لها، واعتقدوا وفقاً لظواهر الأحداثِ أنَّهم تمكنوا من تعليق المسيحِ الناصري وإماتتهِ على الصليب، وأنَّهم أثبتوا بذلك كذبَ المسيحِ في دعواه، واعتبروا أنفسهم في حلٍ من الإيمانِ بهِ والتقيدِ بوصاياه، وظلوا مكذبينَ إياهُ إلى هذا اليومِ.

والآن لنستعرض فقرات حادثةَ صلبِ السَّيدِ المسيحِ كما جاءتْ في الكتابِ المقدسِ «العهدِ الجديدِ»ويكون الشرح بعد الاستعراض:

تروي الأناجيل أنَّ بدءَ محاكمةِ السَّيدِ المسيحِ كانت يومَ الجمعةِ ظهراً - حسبَ الفقرةِ التي ذكرناها في الصَّفحةِ السَّابقةِ -، وتمَّ تعليقُ المسيح على الصَّليبِ منتصفَ أو عصرَ يوم الجمعةِ الذي يسمونهُ «يومَ التهيئةِ»، بسببِ أنَّ اليهود يتهيئونَ يومَ الجمعةِ لاستقبالِ يومِ السبتِ كيومِ راحةٍ لهم.

«ولما وصلوا إلى المكانِ، أعطوهُ خمراً ممزوجةً بالمرِ، فلما ذاقها رفضَ أن يشربها»

متى «٢٧/٣٣ ـ ٣٤»

«وعندَ الظهرِ خيمَ على الأرضِ كلّها ظلامٌ حتى السَّاعة الثالثة، ونحو السَّاعة الثالثة صرخَ يسوع بصوتٍ عظيمٍ «إلهي، إلهي، لماذا تركتني»».

متى «٢٧/٤٥ ـ ٤٦»

«ورأى يسوع أنَّ كلَّ شيءٍ تمَّ، فقالَ «أنا عطشان، ليتمَ الكتاب، وكانَ هناكَ وعاءٌ مملوءٌ بالخلِ، فغمسوا فيهِ اسفنجةً ووضعوها على طرفِ قصبةٍ ورفعوها إلى فمهِ ليشربَ، فلما ذاقَ يسوع الخل قالَ : «تمَّ كلُّ شيءٍ وحنى رأسهُ واسلمَ الروح».

يوحنا «١٩/٢٨ ـ ٣٠»

«وكانَ ذلكَ يومُ التهيئةِ للسبتِ، فطلبَ اليهودُ من بيلاطس أن يأمرَ بكسرِ سيقانِ المصلوبين، وإنزالِ جثثهم عن الصَّليبِ لئلا تبقى يومُ السَّبت، فجاءَ الجنود وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوبين مع يسوع ولما وصلوا إلى يسوع رأوه قد ماتْ، فما كسروا ساقيه، ولكن أحد الجنود طعنه بحرية في جنبه، فخرج منه دم وماء، والذي رأى هذا يشهدُ بهِ وشهادتهُ صحيحةٌ».

يوحنا «١٩/٣١ ـ ٣٥»

«وعندَ الظهرِ خيمَ الظلام على الأرضِ كلها حتى السَّاعةِ الثالثةِ، واحتجبتْ الشَّمس».

لوقا «٢٣/٤٤ ـ ٤٥»

«وجاءَ عضوٌ في مجلسِ اليهودِ اسمهُ يوسف، وهو رجلٌ تقيٌ صالحٌ، عارضَ رأيَّ المجلسِ وتصرفاتهِ، وكانَ من الرامة، وكانَ ينتظرُ ملكوتَ الله فدخلَ على بيلاطس وطلبَ جسدَ يسوع».

لوقا «٢٣/٥٠ ـ ٥٢»

«جاءَ يوسف الرامي، وكانَ تلميذاً ليسوع في السِّرِ خوفاً من اليهود، وطلبَ من بيلاطس أن يأخذ جسدَ يسوع، فسمحَ لهُ».

يوحنا «١٩/٣٨»

«فأخذ جسدَ يسوع ولفهُ في كفنٍ نظيفٍ، ووضعهُ في قبرٍ جديدٍ، كانَ حَفَرهُ لنفسهِ في الصَّخرِ، ثمَّ دحرجَ حجراً كبيراً على بابِ القبرِ ومضى».

متى «٢٧/٥٨ ـ ٦٠»

كانَ القبرُ واسعاً يشبهُ القاعةَ كما سنرى.

حسب يوحنا «وكانَ في الموضعِ الذي صلبوه بستانٌ، وفي البستانِ قبرٌ جديدٌ، فوضعا يسوع فيهِ لأنَّهُ كانَ قريباً، وكانَ اليومُ يومُ التهيئةِ عندَ اليهودِ».

يوحنا «١٩/ ٤١ ـ ٤٢»

«فتعجبَ بيلاطس أن يكونَ مات، فلما سمعَ الخبرَ من القائدِ، سمحَ ليوسف بجثةِ يسوع».

مرقس «١٥/٤٤ ـ ٤٥»

«وكانت النساء اللواتي تبعن يسوع من الجليلِ ـ مريم المجدلية ومريم أم يوسي ـ يرافقن يوسف الرامي، فرأين القبر وكيفَ وضِعَ جسدُ يسوع، ثمَّ رجعنَّ وهيأنَّ طيباً وحنوطاً».

لوقا «٢٣/٥٥ ـ ٥٦»

«ولما مضى السَّبت، اشترتْ مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب، وسالومة، بعضَ الطِّيبِ ليذهبن ويسكبنه على جسدِ يسوع، وفي صباحِ يومِ الأحدِ، جئنَ إلى القبرِ، فلما تطلعنَّ وجدنَ الحجرَ مدحرجاً، فدخلنَّ القبرَ، فرأين شاباً جالساً على اليمينِ عليهِ ثوبٌ أبيضُ، فارتعبن، فقالَ لهن: «لا ترتعبن أنتن تطلبن يسوع الناصري، ما هو هنا، فاذهبن وقلن لتلاميذهِ ولبطرس : هو يسبقكم إلى الجليلِ، وهناكَ ترونهُ » ».

مرقس «١٦/١ـ ٧ »

حسبَ لوقا: «وجئن فجرَ الأحد إلى القبرِ وهن يحملنَ الطّيبَ الذي هيأنهُ،.. فما وجدن جسدَ يسوع وظهرَ لهن رجلان، فارتعبن فقالَ لهن الرجلان : ولماذا تطلبن الحي بينَ الأمواتِ؟».

لوقا «١/٢٤ ـ ٥»

وحسبَ يوحنا : «أما مريم المجدلية، فوقفتْ عندَ القبرِ تبكي، فرأتْ ملكين في ثيابٍ بيضاء جالسينَ حيثُ كانَ جسد يسوع،... والتفتتْ وراءها فرأتْ يسوع واقفاً، وما عرفتْ أنَّهُ يسوع، فقالَ لها يسوع: «لماذا تبكين، يا امرأة؟ ومن تطلبين ؟». فظنتْ أنَّهُ البستاني، فقالَ لها يسوع: «يا مريم»، فعرفتهُ وقالتْ لهُ بالعبريةِ : «ربوني ! أي «يا معلم»، فقالَ لها يسوع: «لا تلمسيني، لأني لم أصعد بعد إلى أبي، بل اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم : أنا صاعدٌ إلى أبي وأبيكم، إلهي وإلهكم »».

يوحنا «١١/٢٠ ـ ١٧»

«فذهبت وأخبرتْ تلاميذهُ، وكانوا ينوحونَ ويبكون، فما صدقوها عندما سمعوا أنهُ حيٌّ وأنها رأتهُ».

مرقس «١٠/١٦ ـ ١١»

بعدَ استعراضِ ما أجمعتْ عليهِ الأناجيل -العهد الجديد -، نستطيعُ استخراج الأدلة موجبةِ الدّلالةِ، التي تثبتْ عدمَ موتِ المسيحِ الناصري على الصَّليبِ[٤٦] :

أولاً: من المعلومِ أنَّ وسيلةَ إعدامِ المحكومِ عليهِ بتعليقهِ على خشبةِ الصَّليبِ، كانتْ إحدى أقسى وسائلِ الإعدامِ، وذلك لأنَّ الذي يريدونَ صلبهُ، لا تكفي ساعاتٌ لموتهِ، بل كانَ لا بدَّ من إبقائهِ طوالَ الأسبوعِ معلقاً على خشبةِ الصَّليبِ ليموتْ، ليسَ بسببِ نزيفٍ دموي يُصيبُ يديهِ ورجليهِ، بل ليموتَ عطشاً وجوعاً وإعياءً، وذلكَ أنَّ الدَّم الخارج يتوقفُ بعدَ وقتٍ قصيرٍ بسببِ أنَّهم يدقونَ المسامير

---

[٤٦] أرجو من القارئ الكريمِ، مع قراءتهِ للشرحِ متابعةُ الفقراتِ التي ذكرناها قبلَ الشَّرحِ.

في أماكنٍ لا توجدُ فيها أوردةٌ تجعلُ الدَّمَ يتدفق، وفي اليدين والرجلين تكونُ نهايةُ الأوردةِ والشَّرايين، وهذا ما سنراهُ لاحقاً، فالإنسانُ لا يُسمى مصلوباً إلا إذا ماتَ على الصَّليب، و إلا فلا تعتبر عمليةُ تعليقهِ وحدها صلباً، كما أنّ الإنسان الملقى في الماءِ لا يُسمى غريقاً لمجردِ إلقاءه في الماءِ، إلا إذا مات.

وبالرُّجوعِ إلى ما احتوتهُ الأناجيل ومحاولةِ صلبِ المسيحِ نجدُ أنها أجمعتْ على أنَّهم علقوا المسيحَ على الصَّليبِ منتصفِ أو عصرِ يوم الجمعةِ الذي يسمونه «يومَ التهيئةِ»، وأجمعتْ على أنَّ الظلامَ خيمَ على المنطقةِ، ولا بدَّ أنَّ الظلامَ ساهمَ في تبديدِ الجموعِ بحيثُ لم يعدْ هنالك من شهودٍ.

فإذا ترجمنا هذا الإجماعُ إلى لغةِ الأعدادِ، نقولُ إنَّ المسيحَ لم يبقَ معلقاً على الصَّليبِ أكثرَ من ثلاثِ ساعاتٍ، وهذهِ المدةُ لا تكفي يقيناً ليموتَ المسيح، خصوصاً وأنَّ المجرمينَ الذين علقا بمحاذاتهِ لم يمتْ منهما أحد وهذا الأمرُ يُشكلُ أولَ دليلٍ مستنبطٍ من هذا الإجماعِ.

ولا ندري مدى غفلةِ متى ومرقس ولوقا ويوحنا عن حقيقةِ هذا الدَّليلِ الإيجابي، فلو استعملوا عقولهم، وتدبروا الأمرَ من هذهِ الزَّاويةِ لخجلوا من أنفسهم عندما بنوا إيمانهم على موتِ المسيح[١٧] ـ وسنوضحُ هذا أكثر لاحقاً ـ.

ثمَّ إنَّ هذهِ الأناجيلُ لم تنقلْ لنا في أي موضعٍ منها أنَّ المسيح ـ عليهِ السَّلام ـ كانَ يشكو قبل واقعةِ الصَّلبِ من أيِّ مرضٍ أو ضعفٍ في القلبِ، بل على العكسِ فإنَّ المسيح كانَ لا يزالُ في سنِّ الثالثةِ والثلاثين من عمرهِ، أيضاً لم توردْ أنَّ أحدَّ المجرمين المحكومينَ معهُ قد مات أثناءَ فترةِ الصَّلبِ قبلَ أن تكسرَ ساقاهما.

ثانياً : إنَّ الأناجيل تروي أنَّ المسيح بعدَ تعليقهِ على الصَّليبِ بوقتٍ قصيرٍ صاحَ : «إلهي، إلهي، لماذا تركتني»، وبعدَ ذلك : «رأى يسوع أنَّ كلَّ شيءٍ تمَّ، فقال: «أنا عطشان» ليتمَ الكتاب، وكانَ هناك وعاءٌ مملوءٌ بالخلِ، فغمسوا فيهِ

[١٥] «هل ماتَ المسيحُ على الصَّليب» - الأستاذ سليم الجابي - ماجستير في علم الأديان المقارن.

اسفنجةً ووضعوها على طرفِ قصبةٍ ورفعوها إلى فمهِ ليشرب، فلما ذاقها قال : «تمَّ كلُّ شيءٍ وحنى رأسهُ وأسلمَ الرُّوح».

يوحنا «١٩/٢٨ ـ ٣٠»

نلاحظُ أولاً أنَّ جملةَ صياحِ المسيحِ «إلهي، إلهي، لماذا تركتني»توحي إلى سامعها أنَّها صادرةٌ عن فؤادٍ قنطٍ من رحمةِ اللّه، ولم يعدْ يشعر بعطفهِ وحنانهِ، وهذا يتنافى مع ما وردَ في سفرِ المزامير : «البار المتألم محميٌّ في المحنةِ»

سفر المزامير «١٢/٣٤»

ولا يستسيغها عاقلٌ أن تكونَ هذهِ الجملةُ من النبي عيسى ـ عليهِ السَّلام ـ وأنَّ ربهُ تخلى عنهُ في أحرجِ لحظاتِ حياتهِ[٤٨] ، خاصةً وأنَّهُ كما ذكرتْ الأناجيل أنَّ الملاكَ ـ جبريل ـ أتاهُ وطمأنهُ أنَّ اللّه منجيهِ «كما ذكرنا سابقاً في الفصلِ الأولِ».

ثانياً : إنَّ بينَ الجملةِ «فلما تناولَ الخل» وجملةِ «قالَ: تمَّ كلُّ شيءٍ، ثمَّ حنى رأسهُ واسلمَ الروح»، ترابطٌ موضوعي، فذلكَ يدلُ على بدايةِ الخطةِ التي دبرها الحاكم الروماني بيلاطس في الخفاءِ، ومن حلقاتها أن يسقوهُ الخلَ، المزوج مرارة وأن تنجحَ الخطةُ لتخديرِ السَّيدِ المسيح، وينتهي الأمرُ ليحني رأسهُ ويسلم الرُّوحَ ظاهرياً، وهو مُغمى عليهِ من المخدرِ.

وسنتناولُ هذهِ النَّقطةِ بالتفصيلِ لما لها من أهميةٍ :

بدايةً : لقد حذفوا في الطَّبعةِ الجديدةِ جملةً كاملةً كانتْ قد وردتْ في الطُّبعاتِ القديمةِ وهي «فتم الكتابُ القائل: وأحصي مع أتمه» وجعلوها فقط «تمَّ الكتابُ»، ولم يعللوا سببَ هذا الحذفِ، والأمثلةِ على التحريفِ كثيرةٌ.

أيضاً هناكَ تحريفٌ آخر أحدثوه: لقد وردَ في الطُّبعاتِ القديمةِ «فركضَ واحدٌ وملأ اسفنجةَ خلاً»، فقد استبدلوها بالنَّصِ الحالي «فأسرعَ بعضهم إلى

---

[٤٨] نرى هنا أنَّ المسيح لم يقلْ «أبي، أبي، لماذا تركتني» وهذا يُنفي بنوةَ السَّيدِ المسيحِ للّه كما زعموا، فالمعلوم من معطياتِ علم النَّفسِ انَّ الإنسان في أدقِ حالاتِ حرجهِ وإضرارهِ يُنادي أقربُ الناس إليهِ وأكثرهم حناناً عليهِ.

إسفنجةٍ»، وكلُّ هذا لهُ غايتهُ عندهم، حتى لا يُثبتَ أنَّ المسيحَ قد أخذ كمية كافيةً لتخديرهِ، فلا نظلمهم إذا اعتبرنا ذلكَ تحريفاً عن الحقيقةِ.

والتحريفُ الأهم : في الطَّبعةِ الحديثةِ من إنجيلِ متى تحريفٌ واضحٌ، نسبةً إلى الطَّبعاتِ القديمةِ، ففي الطَّبعاتِ القديمةِ ذكروا أنَّهم «ناولوهُ خلاً ممزوجاً بمرارةٍ ليشربها»، ولا شك أنَّهُ من غيرِ المعقولِ أن مترجمُ الإنجيلِ الذي ترجمهُ من اليونانيةِ إلى العربيةِ، أن يخطئ بينَ الخمرِ والخلِّ الممزوجِ مرارةً، وإذا كانَ ذلك عن غيرِ قصدٍ فقد وجبَ عليهم الإشارة إلى هذا التصحيحِ، لا أن يكتبوا في الحاشيةِ :

«إذا أوشكَ إنسانٌ أن يُعدمَ جاز لهُ تناول الخلِّ مع حبةِ بخور في كأسٍ ليفقدَ وعيهُ».

والذي نستنتجهُ هو أنَّ رجالَ الكنائسِ عمدوا إلى هذا التحريفِ ليخفوا دليلاً يقدمه الباحثون، وهو أنَّ مزيجَ الخلِّ والمرارةِ الذي وردَ ذكره في واقعةِ الصَّلبِ، لا يزيد عن كونهِ مخدراً كانَ الأطباء الجراحون يستعملونهُ قديماً لتخديرِ المريضِ الذي يريدونَ أن يجروا لهُ عمليةً جراحيةً.

وماداموا قد سقوا السَّيد المسيح مخدراً وهو على الصَّليب، فقد كانَ وراءَ هذهِ الخطوةِ مؤامرة وخطةٌ لإنقاذِ السَّيدِ المسيح من محنتهِ، فيتخدر ويبدو لأعينِ الناس وكأنه قد مات، فلا يكسرونَ عظمَ ساقيهِ قبل إنزالهِ من فوقِ خشبةِ الصَّلبِ «كما سَنُبين تباعاً».

وللتأكيد نتساءلُ: ما دلالةُ أن يقومَ أحدُ الحاضرين فيسقي المسيحَ خلاً، ولا يسقيهِ ماءً؟ فلم يسبقْ أن وردَ في جميعِ الأناجيلِ أنَّ المسيح اعتادَ على شربِ الخلِّ، ثمَّ نعاودُ ونسألُ: كيفَ ومن أينَ تأتى لهذا السَّاقي إحضارَ الخلِّ بهذه السرعة الواضحة الملامح، إلا وأن يكون قد أحضر الخل الممزوجِ مرارةً معهُ سلفاً ولغايةٍ في نفسهِ، خاصة أنَّ المحاكمةَ والصَّلب جاءا سريعاً خلالَ ٣ أو٤ ساعات، والناس في ذلك الوقت خرجوا لمشاهدةِ الصَّلب الذي أفزعهم وفاجأهم وجعلَ الجميعَ في حيرةٍ، وهذا ما أثبتتهُ الأناجيل.

ثمَّ أينَ حراسُ المصلوبين، ولِمَ لم يعترضْ أحداً منهم على خطوةِ هذا الرَّجلِ الذي قامَ على سقايةِ المسيحِ خلاً دونَ إنذارٍ أو استئذانٍ ؟، وهنا في هذهِ الحالةِ لا بدَّ من أنه كانَ لسكوتِ جنودِ الحراسة أمرٌ مدبرٌ من قبل، ومن رئيسهم، لذلك لم يعترضوا عليهِ، وإن كانَ طبيعياً أنَّ المسيح عطشان، فهل يُسقى العطشان خلاً أم يُعطى ماءً ليطفئَ ظمأهُ ؟

في الطَّريقِ إلى الصَّلبِ قُدِّمَ للمسيحِ مزيجُ الخلِ مع المرارةِ ولم يشربْ، وهذهِ قرينةٌ أخرى، على أنَّ الذي غمرَ الإسفنجةِ بالخلِ ورفعها على طرفِ القصبةِ وسقى المسيح بعدَ أن صاحَ، لا بدَّ من أن يكونَ هذا الإنسانُ هو نفسه الذي كانَ يحملُ هذا المزيجِ من الخلِ والمرارةِ، وأنَّ ما زعمهُ «مَتى» بعدَ التحريفِ، أنه خلٌ، لم يكنْ في حقيقتهِ إلا ذاكَ المزيجُ من الخلِ والمرارةِ نفسهِ، هذا المزيجُ الذي كانَ الأطباءُ الجراحون يستعملونهُ في ذاكَ الوقتِ مادّةَ تخديرٍ للمرضى الذينَ يريدونَ إجراءَ عمليةٍ جراحيةٍ لهم «كما ذكرنا».

وإلا فلا يُعقلُ أن يحملَ أحدُ المتفرجينَ مزيجاً من خمرٍ ومرارةٍ، وآخر يحملُ خلاً وحسب، ولا يقومُ صاحبُ مزيجِ الخل مع المرارة بالإقدامِ على سقايةِ المسيح وهو يصيحُ. تخفيفاً من آلامه.

وأصحابُ الأناجيلِ كانوا يذكرونَ تارةً خلاً وحدهُ، وفي روايةٍ خلاً ومرارةً، وفي روايةٍ أخرى خمراً ممزوجاً مراً، وهذا الاختلافُ إن دلَ فإنما يدلُ على إدراكِ من حَرَفَ في الكتبِ بمعالمِ خطةِ بيلاطس لإنقاذِ المسيحِ من الصَّلبِ، وبالتالي بطلانُ ما حاولوا إقناعَ الناسِ بهِ من أنَّ المسيح ماتَ فداءً لخطيئةِ آدم وخلصَ الناس من ذنوبهم خلاصاً مجانياً كما جاءَ في الأناجيلِ.

فلا يُعقلُ أن يعلمَ الجندُ والحرسُ أنَّ المصلوبَ يُتركُ دونَ ماءٍ وطعامٍ ليموتَ جوعاً وعطشاً، ومع ذلك يقوم هؤلاء بتقديمِ الشَّرابِ للمسيحِ وحدهُ دونَ المصلوبينَ معهُ. «وهذا ما سنوضحهُ تباعاً مع باقي تفاصيلِ خطةِ إنقاذِ المسيحِ من الموتِ على الصَّليبِ».

ومما يؤكدُ فهمنا للفقراتِ، هو ما نطقَ بهِ المسيح «إني عطشان»، فقد نقلَ يوحنا قولهُ : «وبعدَ ذلك رأى يسوع أنَّ كلَّ شيءٍ قد كمل»، فلكي يتمَّ الكتاب : قالَ : «أنا عطشان». أي أنَّ المسيحَ نفسهُ كانَ يُراقبُ تنفيذَ حلقاتِ الخطةِ الموضوعةِ لإنقاذهِ، فما معنى أن يقولَ المسيحُ : «إني عطشانٌ» لكي يتمَ الكتاب، ولا يطلبُ أحدٌ غيرهُ من المصلوبين معهُ أن يشربَ، ولا يقول أيٌّ منهم إني عطشانٌ ؟

ألفاظُ يوحنا هذهِ لها حقيقتها ودلالتها، فهي تكشف لنا عن خطةً وهي أن يسقوهُ مخدراً بحيلةٍ ما لتخديرهِ، شرطَ أن يُعطي المسيحُ الإشارةَ التي تبرر لهم سقايتهُ هذا المخدرِ، وهذهِ الإشارةُ أن يقول : «إني عطشانٌ» ليسارعَ من جهزوهُ لهذا الغرضِ ليسقيهِ المخدر، وهذا الأمرُ يُفسرُ معنى تواجدِ الخلِ الممزوجِ بمرارةٍ، ووجودُ الإسفنجةِ والقصبةِ، والشخصُ الذي سارعَ بعد سماعِ الإشارةِ وسقاهُ المخدر.

والدَّليلُ الأكبر على وجودِ خطةٍ مدبرةٍ لإنقاذِ المسيحِ، هو ما حدثَ بعدَ ذلك حينَ أرادَ هؤلاء إنزالَ المسيحِ من على الصَّليبِ، فقد أوردَ «يوحنا» في إنجيلهِ : «فأتى العسكر وكسروا ساقي الأولِ والآخر المصلوبِ معهُ، وأما يسوع فلما جاؤوا إليهِ لم يكسروا ساقيهِ، لأنَّهم رأوهُ قد مات». رأوه قد مات : أي أنَّ المخدرِ فعلَ فعلهُ في تخديرِ المسيحِ الذي نكسَّ رأسهُ من جراءِ شربهِ للمخدرِ، والإعياءِ الذي كانَ فيهِ إذ لم ينم ليلةَ صلبهِ، وبدا للعسكرِ ولسواهم أنهُ أسلمَ الرُّوحَ. علماً بأنَّ ساعاتٍ معدودةً - كما ذكرنا - ما كانتْ تكفي ليموتَ على الصَّليبِ، فالمسيحُ شُبهَ للناظرينَ مقتولاً ومصلوباً وفقَ التعبيرِ القرآني :

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾

النساء - ١٥٧

نرجع إلى الإنجيل: «وكانَ ذلكَ يومُ التهيئةِ للسبتِ، فطلبَ اليهودُ من بيلاطس أن يأمرَ بكسرِ سيقانِ المصلوبين، وإنزال جثثهم، لئلا تبقى يومَ

السَّبتِ، فجاءَ الجنودُ وكسروا ساقي الأولِ والآخرِ المصلوبين مع يسوع، ولما وصلوا إلى يسوع رأوهُ قد ماتَ، فما كسروا ساقيهِ، ولكن واحداً من الجنودِ طعنهُ بحربةٍ في جنبهِ، فخرجَ لوقته - أي فوراً - «دمٌ وماءٌ»، والذي رأى شهدَ وشهادتهُ صحيحةٌ ».

يوحنا «١٩/٣١ - ٣٥»

لم يكسروا ساقيهِ، ونجا المسيحُ - عليهِ السَّلام - من جراءِ ذلك، من الموتِ على الصَّليبِ، مثل ميتةَ المجرمينَ اللذين صلبا معه.

ولم يقفْ الأمرُ عندَ هذا الحدِّ، إذ لا يُعقل أن تنطلي هذه اللعبة الذكية على الجنودِ الأربعةِ الذين كانوا هناك، ففطنَ أحدهم إلى أنهُ لا يُعقل أن يكونَ المسيحُ قد مات وحدهُ من بينِ الثلاثةِ وهكذا دونَ سببٍ، وخلالَ ساعاتٍ معدودةٍ، وظنَّ أنَّ الأمرَ انطلى على رئيسهِ، فعمدَ إلى حركةٍ متعارفٍ عليها عندَ الجنودِ، فالقلبُ يضخُ دم ما دامَ ينبضُ بالحياةِ.

فإن جُرِحَ الجسمُ يخرجُ الدَّمُ للوقت - أي فوراً - بسببِ الدَّفعِ الذي يسببهُ القلبُ الحي، يروي لنا يوحنا «خرجَ لوقتهِ دمٌ وماءٌ» أي دمٌ غيرُ وريدي لأنَّ الطَّعنةَ كانتْ في الخاصرةِ، فهي طعنةٌ خارجيةٌ خفيفةٌ غيرُ مميتةٍ، ولكن خروجُ الدَّمِ يدلُ على أنَّ المسيحَ مازالَ حياً. وأن قلبه ما زال ينبض.

ومع أنَّ رئيسَ الجنودِ رأى بأمِ عينيهِ الدَّليلَ القاطعَ على أنَّ المسيحَ لم يمتْ وأن قلبه ما زال ينبض بالحياةِ، فلم يأبه لهذا الدَّليلِ وظلَّ مصراً ألا يكسرَ الجنودُ ساقي المسيحِ، فلماذا وقفَ الجندُ هذا الموقفَ ؟ إلا إذا كانَ قد تلقى أمراً بذلك من بيلاطس، بأن لا يُكسرَ ساقي المسيحِ بأيِّ صورةٍ كانت، ووفق خطة موضوعة، الغرضُ منها إنقاذ السَّيدِ المسيحِ في الموت.

يقولُ الأستاذُ سليم الجابي «باحث في علمِ الأديانِ المقارن» : «راجعتُ عدداً من الأطباءِ المختصين ورويت لهم مجرياتِ هذهِ الحادثةِ، فما اختلفَ معهُ أحدٌ من هؤلاء فيما أخبرهم بهِ، بل على العكسِ من ذلك فقد أظهروا كلَّ اندهاشٍ

وحيرةٍ، إذ كيفَ لم ينتبه إلى هذه الحقيقة أحد من الذين يطالعون هذه الأناجيل؟» فالحادثةُ كما تروي الأناجيل فيها كلُّ الدّلالةِ على أنَّ المسيح لم يمتْ على الصَّليبِ، وانزلوهُ حياً، وهذا ما يؤيدُ الطَّرحَ القرآني:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

النساء ـ ١٥٧

جرتْ عادةُ الحكامِ الرومان أن يعلقوا المحكومَ عليهِ بالصَّلبِ، من أولِ يومٍ من الأسبوعِ وذلك ليظلَ معلقاً طوالَ الأسبوعِ ويموتَ جوعاً وعطشاً، والذي جرى في واقعةِ الصَّلبِ هذهِ، أنَّ بيلاطس راحَ يماطلُ اليهودَ إلى أن جاءَ آخرُ يومٍ من الأسبوعِ وهو يومُ الجمعةِ الذي كانوا يسمونهُ «يومَ التهيئةِ» (تهيئةٌ لدخولِ عيد يومِ السَّبتِ).

ولم يأمرْ بيلاطس بصلبِ المسيحِ إلا بعدَ أن أتتْ السَّاعةُ الثالثةِ من بعدِ ظهرِ الجمعةِ، على حسب ما ثبتَ من الأناجيل «وكانتْ السَّاعةُ الثالثة فصلبوه».

مرقس «١٥/٢٥»

وبذلك فلم يبقَ لدخولِ يومِ السَّبتِ إلا ساعاتٌ قليلةٌ، وكانَ لا بدَ من إنزالِ المسيحِ حينئذٍ وكسرِ ساقيهِ للقضاءِ عليهِ، أو إنزالهِ حياً كما خطط له.

ولا تحدثُ مثلَ هذه المماطلةِ مصادفةً واعتباطاً، بل بتخطيطٍ مقصودٍ من بيلاطس، ولولا ذلك لكانَ قد قررَ صلبَ المسيح واستمهال اليهود ليصلبهُ لهم اعتباراً من صباحِ أولِ يومٍ من الأسبوعِ الذي بعده، ليبقى المسيح طوالَ الأسبوعِ معلقاً، ويموتُ جوعاً وعطشاً، ويشفي بهذا غليلَ وحقدِ اليهودِ الدّنيء ويرضيهم.

كان اليهود في أثناء الصلب يراقبون ما يجري، وهم الذينَ طالبوا بكسرِ سيقانِ الثلاثةِ المصلوبين، وفقَ ما ذكرهُ يوحنا «طلبَ اليهودُ من بيلاطس أن تكسرَ سيقانهم وتنزلَ جثثهم من على الصَّليبِ».

فاليهود على الرَّغمِ من أنَّهم شاهدوا المسيح منكسٌ الرَّأسِ على الصَّليبِ، كانوا غيرَ متيقنين من موتِ المسيحِ، ولذلك لم يستثنوا من طلبهم المذكورِ المسيحِ، وقد كانَ على بيلاطس ورئيسِ جندهِ أن يكسروا ساقي المسيحِ وينتهوا من أيِّ إشكالِ مع اليهودِ وتتم الأمورِ بصورةٍ طبيعيةٍ كما هي عادةُ الحكامِ في حسمِ الأمورِ بشكلٍ سريعٍ.

والآن نأتي إلى الخطوةِ الأخيرةِ من خطةِ بيلاطس لإنقاذ السَّيدِ المسيحِ من الموتِ على الصَّليبِ :

من المعلومِ قانوناً وعرفاً أنَّ جثةَ المصلوبِ، أو المعدوم، تُسلم إلى أهلهِ أو إلى أحدٍ من أقاربهِ، لكن الذي حدثَ في الواقعةِ المذكورةِ أنَّ بيلاطس أمرَ بتسليمِ جثةِ المسيحِ إلى يوسف الرامي، هذا الرَّجلُ الذي كانَ مستشاراً لبيلاطس نفسهُ، ومن المؤمنين بالمسيحِ سراً، وقد ساعدهُ ضابطٌ روماني متعاطفٌ معهُ، على ذلك.

حدثَ هذا على الرَّغمِ من أنهُ ـ كما ذكرَ يوحنا ـ: «كانت واقفاتٌ عندَ صليبِ يسوع أمه وأخت مريم وزوجةُ كلوبا ومريم المجدلية».

يوحنا «٢٥/١٩»

وكان هناك الكثير من أهل المسيح والمؤمنين به، الذين يحق لهم استلام الجثة بعد الصلب ، فهل يعقل أن يحدث ذلك مصادفة دون تخطيط مسبق من بيلاطس نفسه الذي يثق بمستشاره يوسف المذكور..

ومن أينَ يتأتى ليوسف الرامي أن يُحضرَ الأكفانَ والطِّيبَ جميعاً في وقتٍ ذهبَ أصحابُ المحلاتِ إلى دورهم ليسبتوا فيها وفقَ تعاليمِ شريعتهم ؟ ومن أينَ أتى أن يكونَ موقع الصَّلب قريباً من القبرِ المحفورِ في الجبلِ على شكلِ قاعةٍ فسيحةٍ والعائد إلى يوسف الرامي «كما ذكرنا من فقراتِ الإنجيلِ قبلَ الشَّرح»؟

وكيفَ لم يتقدمْ أحدٌ من تلاميذِ المسيحِ أو أمهُ أو أقاربه مطالبينَ بجثتِهِ؟ فهذه تساؤلاتٌ تساءلها المحققون و الباحثون للتوصلِ إلى الحقيقةِ.

وقد لاحظَ بعضُ العلماء أنَّ يوسف الرامي طلبَ من بيلاطس جسدَ عيسى Soma ولم يطلبْ جثتهُ ptoma ، وهذا يدل على علمهِ أنَّ عيسى كانَ حياً. حسب الاتّفاق[٤٩]

أما المدفن الذي أُخذ إليهِ عيسى فلم يكنْ قبراً عادياً، بل قاعةً فسيحةً متسعةً، وبعبارةٍ أخرى كان مخبأً، و إلا كيفَ استطاعَ بطرس وغيرهِ من الحواريين الدَّخولَ إليهِ ؟

«ثمَّ جاءَ سمعان بطرس ودخلَ القبرَ»

يوحنا «٦/٢٠ »

ثمَّ : «دخلَ أيضاً التلميذ الآخر » يوحنا «٨/٢٠». وأيضاً «لما دَخَلْنَ القبرَ ـ النِّسوة الثلاثة ـ شاهدن رجلاً جالساً عن اليمين»

«مرقس ٥/١٦»

ولما وصلن «النسوة الثلاثة» إلى المدفنِ لتدليكِ عيسى بالزيتِ والطِّيبِ، ذهلنَّ لاختفائهِ من الموقع «مرقس ١/١٦ ـ ٧»، والروايةُ تثيرُ الشّكوكَ من حيثُ أنَّ النسوة جئنَ لتدليكِ عيسى بعدَ انقضاءِ يومين على وفاتهِ ـ حسبما ذكرَ في الأناجيلِ ـ، والسؤالُ هنا: هل من عادةِ اليهودِ تدليكُ موتاهم بالزيتِ بعدَ يومين من الوفاةِ ؟ حيثُ يكونُ الجسدُ قد بدأ بالتحللِ والتفسخِ، وأيُّ محاولةٍ لتدليكه تؤدي لتفتيتهِ، ما لم تكن تلكَ النسوة على علمٍ بأنَّ عيسى كانَ حياً.

وطالما أنَّ مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب وسالومي كنَّ شهوداً على «الصَّلبِ» فلا بدَّ أنهنَّ عرفن أنَّ عيسى بقي حياً وهو السَّببُ الوحيدُ الذي يُمكن

---

(49) **schonfield, hugh, the pass over plot, Element publishers 1994 pg. 168.**

أن يفسرَ رغبتهنَّ بتدليكهِ ! ربما لمعالجةِ بعضِ الكدماتِ والجروحِ على جسمهِ(٥٠)؟

حسبَ ما تروي الأناجيل، أنَّ الظلامَ خيمَ على المنطقةِ، ولا بدَّ أنَّ الظلامَ ساهم في تبديدِ الجموعِ بحيثُ لم يعد هناك من شهودٍ على موته.

جميعُ ما وردَ في الأناجيلِ عن موتِ عيسى ـ عليهِ السَّلام ـ وقيامتهِ من بينِ الأمواتِ، يخلوا من أيِّ شاهدٍ إثباتٍ على ذلك، وحتى النساء اللواتي قدمنَ إلى القبرِ فجرَ الأحدِ، لم تزعمْ واحدةٌ منهن أنها شاهدت المسيح يقومُ من قبرهِ، بل وجدن القبرَ فارغاً.

«فركضتْ وجاءتْ سمعان بطرس و إلى التلميذ الأخر وقالتْ لهما : أخذوا السيّدَ من القبرِ ولسنا نعلمُ أينَ وضعوهُ».

يوحنا «٢٠/ ١ ـ ٢ »

ومن ثمَّ: «كانتا خائفتين ومنكسين رأسيهما أرضاً وقالا لهن ـ للنسوة ـ لماذا تطلبن الحي من بينِ الأمواتِ».

لوقا «٢٤/٥»

فالشَّيءُ الوحيدُ الممكنُ استخلاصهُ من هذا الكلام، أنَّ عيسى كانَ حياً، وكانَ الرجلان خائفان ومنكسان رأسيهما أرضاً لأنَّ أحدهما كانَ عيسى، و كانَ سببُ خوفهِ واضحاً، إذ لم يكنْ يُريد أن يعلمَ أحبارُ اليهودِ بنجاتهِ «وهذا ما وردَ في أكثرِ نصوصِ الأناجيل»، ولو كانَ شبحاً مبعوثاً من الموتِ لما كانَ عنده سببٌ للخوفِ لأنهُ لا يُمكن للشبحِ أن يموتَ ثانيةً !.

ورواية يوحنا تكملُ المعنى: «وقفتْ مريم عندَ المدفنِ تبكي... فرأت عيسى واقفاً دونَ أن تعلمَ أنّهُ عيسى». يوحنا «٢٠/١١ ـ ١٤» كانتْ تبكي لأنّها لم تتعرفْ عليهِ، فواساها قائلاً : «يا امرأة لمَ تبكين ؟ ومن تطلبين ؟ فظنتْ أنّهُ

---

(50) **Schonfield, Hugh، the Essene odyssey، Element Publishers 1993**

البستاني» يوحنا «١٥/٢٠ »، فالواضحُ إذاً أنَّ عيسى كانَ متنكراً بزي البستاني، وفي روايةِ لوقا نراهُ منكساً رأسهُ أرضاً خيفةَ أن يتعرفَ عليهِ أحدٌ، ثمَّ :«قالَ لها عيسى : يا مريم، فالتفتتْ وقالتْ لهُ يا معلم ». يوحنا «١٦/٢٠» وقد غمرها الفرحُ لأنَّ البستاني كانَ عيسى نفسهُ ومن شدةِ غبطتها أقبلتْ تريدُ عناقهُ فقالَ لها : «لا تلمسيني، لأني لم اصعدْ بعد إلى أبي».

يوحنا «١٧/٢٠»

لم يشأ عيسى – عليه السلام - أن تعانقهُ أو تلمسهُ فقد يؤلمهُ ذلكَ بسببِ الرضوض التي تعرضَ لها، وهذا ما يؤكدُ أنَّ المسيح بقيَ حياً بجسدهِ، وليسَ شبحاً قد قامَ من الموتِ، و إلا ما كانَ تألم من جروحهِ، لقد أخبرها بوضوحٍ لا إبهامَ فيهِ أنَّهُ لم يصعدْ بعد إلى أبيهِ، أي أن الروحَ لم تفارقهُ بعد، مما يُفيدُ أنَّهُ لا زالَ حياً يُرزق، وليسَ عائداً من الموتِ ؟ [51].

ثمَّ أرسلها عيسى لتخبرَ حوارييهِ بذلك : «فلما سمعَ أولئك أنهُ حيٌّ يُرزق، وأنها شاهدتهُ لم يصدقوا»

مرقس «١١/١٦»

وفي ذلكَ اليومِ التقى عيسى باثنين من الحواريين : «فاقتربَ إليهما عيسى ومشى معهما».

لوقا «١٥/٢٤»

«فأخبراهُ عن عيسى الذي كانَ نبياً مقتدراً بالفعلِ والقولِ».

لوقا «١٩/٢٤»

«فقالَ لهما : أيُّها الغبيان بطيئا القلوبِ والإيمانِ بما تكلم بهِ الأنبياء» «١٩/٢٤». يقصد ألا ترون أنني أنا عيسى حيٌّ أرزق ؟ «فانفتحتْ أعينهما وعرفاه»

لوقا «٣١/٢٤»

---

(51) 'Wilson.A.N", Paul, the Mind of the Apostle, 1997, p.36

وفي القدس في ذلكَ اليومِ التقى عيسى بالحواريين جميعاً، «قال لهم: السَّلامُ عليكم، فأصابهم الرُّعبُ والذعرُ معتقدين أنَّهم شاهدوا شبحاً، فقالَ لهم: ما بالكم اضطربتم ؟، انظروا يدي ورجلي، إني أنا هو، جسوني - المسوني - وانظروا - أنني لستُ شبحاً - فإنَّ الشَّبح ليسَ لهُ لحمٌ وعظمٌ كما ترون لي، وبينما هو يتكلم أراهم يديهِ ورجليه». لوقا «٢٤/٣٦ - ٤٠».، كانَ عيسى عليه السلام يقول لهم بكلٍّ وضوحٍ أنَّهُ لم يُقتلْ ويبرهن لهم بصورةٍ لا يتطرقُ إليها أدنى شكٍ.

غيرَ أنَّ الحواريين أصيبوا بالذعرِ لأنَّهم افترضوا أنَّه عليه السلام قتلَ بحسبِ ما سمعوه، فكلُّ معلوماتهم كانتْ من الشَّائعاتِ، إذ لم يكنْ أحدٌ منهم شاهداً على الأحداثِ «مرقس١٤/٥٠»، وبالمقارنةِ معهم فإنَّ مريم المجدلية لم تخفْ عندما شاهدتْ عيسى، بل أقبلتْ عليهِ تريدُ عناقهُ لأنَّها كانتْ شاهدةَ عيان على ما حدث فعلاً - كما مرَّ معنا في الفقراتِ الإنجيليةِ -، وبالتالي كانتْ تتوقع أن ترى عيسى حياً يُرزقُ فهي من البدايةِ علمتْ أن عيسى لم يقتلْ.

وهكذا فالأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ في العهد الجديد، منها أنه أكل وشرب أمامهم، ليبرهن أنه حي، فالأشباح والأرواح لا تحتاج إلى غذاءٍ أو ماءٍ، وعندما التقى " توما " قالَ لهُ: «هات إصبعكَ إلى هنا وجس يدي، وهات يدك وضعها في جنبي». يوحنا «٢٠/٢٦ - ٢٧». والمعنى: تحقق بنفسك أنني أنا المسيحُ لا أزالُ حياً بلحمي ودمي ولستُ شبحاً أو روحاً، فماذا تريد أكثر من هذا الدَّليل ؟.

وهنا نتساءل، لو كانَ عيسى قد تنبأ بصلبهِ وقيامتهِ سلفاً كما تزعم الأسفارُ وكما قالَ "بولس" بعقيدةِ الفداءِ، فلماذا أصيبَ الحواريون بالذعرِ عندما شاهدوه حياً ؟. لم يكن هناك من حواري واحدٍ على الأقلِ تذكر «نبوءة» عيسى - التي وضعتْ في الأناجيل فيما بعد -، فلو كانَ ما زعموه عن هذهِ النبوءةِ حقاً فلماذا لم يذهبْ الحواريون إلى مكانِ المدفنِ في اليومِ الثالثِ ليشهدوا قيامةَ المعلمِ ؟ ولكنهم على العكس من ذلك فقد ارتعدتْ فرائصهم عندما شاهدوا عيسى المسيح حياً[٥٢].

---

[52] **Dawes, Gregory W, the Historical jesus Quest, 1999, p.74_76 Reimaros**

كتبَ لوقا في أعمالِ الرُّسلِ «٣/١» أنَّ عيسى بقيَّ حياً لمدةِ أربعين يوماً بعدَ محنتهِ: «الذين أراهم نفسهُ حياً ببراهينَ كثيرةٍ بعدَ محنتهِ وقد ظهرَ لهم أربعينَ يوماً....»

من المهم أخيراً ملاحظةُ أنَّ عيسى المسيح - عليهِ السَّلام - في ظهورهِ لم يقابلْ أعداءه، ولكن فقط مريديه، لأنَّهُ كشخصٍ حيٍّ كانَ يخشى على نفسهِ من تآمر الأعداءِ، فلو كانَ شبحاً لما كانَ هناك ما يخشاهُ، أو كانَ إلهاً كما أدعى «بولس» في نظريتهِ، لما كانَ هناك من سببٍ لخوفهِ بظهورهِ العلني، والملاحظ أيضاً أنَّهُ كانَ يتنقلُ لمسافاتٍ قصيرةٍ لأنهُ كما ذكرنا كانَ رجلاً حياً وليسَ شبحاً.

الفصل الرابع

الطوائف الموحدة لله وتطور الحركات المسيحية الموحدة في العالم

غالبية الناس غافلةٌ عن الحقيقةِ التاريخيةِ، التي قامَ بكشفها حديثاً علماء «bible» الأناجيل «العهد الجديد»، وهي أنَّ عيسى المسيح -عليهِ السَّلام- لم يؤسس المسيحية بشكلها الحالي، ولم يعرفها حتى، وأنَّ مفاهيمَ الألوهيةِ التي أسبغوها عليهِ لم تكنْ معروفةً بينَ «النصارى» أتباعِ وصحابة السَّيدِ المسيح الأوائل (الذين جاءَ ذكرهم في القرآنِ الكريمِ).

بعدَ رفع المسيحِ بسبعينَ عاماً، اتخذتْ رسالةُ السَّيدِ المسيحِ منحىً جديداً وخطيراً خارجَ فلسطين، وحلتْ روما محلَ القدسِ كعاصمةٍ دينيةٍ للمسيحيةِ، خاصةً بعدَ خرابِ القدسِ على يد الرومان وتشتّتَ معظمُ النصارى الموحدين وقتلَ الكثيرُ منهم، مما أدى إلى تحررِ حركةِ بولس المسيحيةِ من معارضةِ نصارى القدسِ بوصفهم الورثة الحقيقيين لرسالةِ عيسى المسيحِ، وبدءت المسيحيةِ بالانتشارِ، خاصةً أنّها لم تكنْ طرفاً في العصيانِ المسلحِ ضدَّ روما.

أصبحَ النصارى - الطّوائف الموحدة - بنظرِ الدَّولةِ الرومانيةِ والكنيسةِ الرَّسميةِ عبارةً عن هراطقة لرفضهم عقائدِ بولس اللاهوتيةِ، وبدأت ضدهم مرحلةٌ من الاضطهاداتِ القمعيةِ، إذ دُمرتْ معابدهم وأحرقتْ كتبهم، إلا القليل الذي أُدخلَ في نصوصِ الأناجيلِ لإسباغ صفةِ الشَّرعيةِ على تلكَ الكتاباتِ، ونلحظ من خلالِ تلكَ المقتطفاتِ أنَّ النصارى لم يكنْ لديهم أيُّ فكرةٍ أو اعتقادٍ مهما يكن عن تأليهِ المسيح.

كتبَ موكوباي Moccoby[٥٣] عن وثيقةٍ اكتشفتْ في استنبول: أنَّهُ في أجيالٍ متأخرةٍ بين سنة ٢٦٠ ـ ٣٣٩م ظهرتْ طائفةٌ من النصارى الموحدين أطلقَ عليهم اسم «إيبونايت» Ebionites، تمَّ طمسُ عقائدهم وعقائدِ أجدادهم النصارى، وكانوا ينظرون إلى بولس بوصفهِ المزيف لرسالةِ عيسى، وتصفُ الوثيقة بأنَّ مسيحية بولس ليستْ سوى ديانةٍ روميةٍ، وأنَّ بولس بدلاً من محاولةِ تحويل الرومِ إلى نصارى قامَ بتحويلِ النصارى إلى رومٍ، ويصف المصدرُ النصراني، الرسول عيسى بأنهُ المسيحُ النبي البشر وينتقدُ أسفارَ العهدِ الجديدِ معتبراً إياها متناقضةً وغيرَ جديرةٍ بالثقةِ، والأهم من ذلك أنَّهُ يشيرُ إلى وجودِ إنجيلٍ موثوقٍ مدونٍ بالعبريةِ كانَ متداولاً بينَ النصارى.

بعدَ مؤتمرِ نيقية ٣٢٥م ظهرتْ طائفةُ الموحدين وهم الآريسيون ـ نسبةً إلى الأسقف آريوس ـ، كانوا استمراراً للعقيدةِ النصرانيةِ الأصليةِ، و قد رفضوا الموافقةَ على عقيدةِ نيقية، فصدرَ أمرٌ من الإمبراطورِ بملاحقتهم، ومع ذلك انتشرتْ تعاليمُ الآريسين في الإمبراطوريةِ الرومانيةِ لعدةِ قرونٍ أخرى حتى وصلتْ شمال أوربا وأواسطها وقبائلِ القوطِ.

كما كانَ هناكَ طوائف مسيحيةٌ موحدةٌ قبلَ ظهورِ الإسلامِ. وهم الكورنثيون و الباسبليدون والكاربوكرانيون، كانوا يؤمنون بأنَّ السَّيد المسيح لم يُصلبْ وأنَّهُ إنسانٌ بشرٌ ليسَ لهُ صفةَ الإلهِ أو ابن الإلهِ، أو «كريستوس» نصفُ إلهٍ أحدُ والديهِ بشر، ولكن أساقفةَ الكنيسةِ مارسوا عملياتِ قمعٍ وحشيةٍ ضدَّ كلِّ من أنكرَ ألوهية المسيحِ وعقابهُ أن يحرقَ حياً[٥٤].

رغمَ الاضطهاداتِ التي تعرّضت لها الطّوائف الموحدة والتي أجبرتهم على التخفي واللجوءِ إلى السِّريةِ، فقد كانوا يظهرونَ إلى العلنِ كلما سمحتْ لهم الظُّروفُ كما يحدثُ عندَ تغيرِ الحكامِ، وكما حدث بعدَ هزيمةِ بيزنطة على يدِ المسلمين بعدَ عام ٦٣٥م لشهرة الدَّولةِ الإسلاميةِ بضمانها حريةَ الأديانِ.

---

[53] **Maccoby, Hyam, paul and the invention of Christianity 1998 p.181 183**

[٥٤] **المسيحية والإسلام والاستشراق ـ محمد فاروق الزين ـ دار الفكر بدمشق.**

وفي أوروبا بعدَ مرورِ حوالي ألفِ عامٍ على اضمحلالِ وجودِ الطُّوائفِ الموحدةِ، ظهرتْ عقائدهم من جديدٍ على إثرِ نجاحِ حركةِ الإصلاحِ الدِّيني البروتستانتيةِ في مطلعِ القرنِ السَّادس عشر مما أدى إلى ولادةِ مناخٍ فكريٍ في أوروبا يسمحُ بالاستفادةِ من العقلِ والفكرِ السَّليم، فتطورتْ حركاتٌ مسيحيةٌ توحيديةٌ نبذتْ عقيدةَ الثالوثِ ورفضتْ تأليهَ المسيحِ وأعلنتْ أنَّ الله واحدٌ أحدٌ.

ازدهرتْ الحركاتِ التوحيديةِ الجديدةِ بشكلٍ خاصٍ في كلٍّ من بولونيا بزعامة رئيسها فاوستوس سوسينوس Socinus وقد استمرتْ ما يقارب قرنٍ من الزمن حتى العام ١٦٥٨م ثمَّ انتهتْ إثرَ إنذارِ أعضائها بالخيار ما بين مغادرة البلاد أو الموت أو الانضمام إلى الكنيسةِ الكاثوليكيةِ فكانَ أن هاجرَ معظمُ أتباعها.

وفي رومانيا وهنغاريا انشقتْ الحركة التوحيدية عن كلٍّ من الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية، وأكدتْ أنَّ الصَّلاة يجب أن توجه إلى الله تعالى فقط لأنَّ المسيح مجردُ بشرٍ، ورغمَ أنَّ الكنيسة قبضتْ على زعيمِ الحركةِ دافيد فيرنك Ferenc وسجنتهُ عام ١٥٧٩ حتى ماتَ في سجنهِ إلا أنَّ الحركة بقيتْ مستمرّةً إلى يومنا هذا.

وفي انكلترا ظهرَ التوحيدي العالم الكاهن جوزيف بريستلي Priestly وانشقَ عن كنيسةِ انكلترا مؤكداً على إنسانيةِ عيسى المسيح وعلى أهميةِ استخدامِ الفكرِ في الدين، ثمَّ انتشرتْ التوحيدية لدى بعضِ أعضاءِ البرلمانِ الإنكليزي ولدى المتعلمين وصارَ يطلق عليهم اسم المسيحيين الأحرار.

وفي إيطاليا حيثُ تمَّ عام ١٥٥٣م إحراقُ أحدٌ المشاهير التوحيديين حياً وهو الطّبيب ورجلُ الدِّينِ الإسباني مايكل سرفتس Servetus وكانَ قد نشرَ كتابين عن «أخطاءِ التثليث» و «العودةِ إلى النصرانية».

وفي أمريكا تطورتْ التوحيدية ببطءٍ في الولاياتِ الشّماليةِ الشّرقيةِ وخاصةً بينَ الذينَ رفضوا حركةَ "الإحياء الديني" التي عرفتْ " بالصحوةِ الكبرى " خلالِ النّصفِ الأولِ من القرنِ الثامن عشر، وقد رأى زعماؤها أنّهُ يجب الاعتدال واتباعُ الفكرِ السّليمِ بدلاً من حماسته الإحياءِ الديني، وأطلقوا على عقيدتهم اسم " المسيحية التوحيديةِ " ووصفوها بأنّها عقيدةٌ منسجمةٌ مع الفهم السّليمِ، إذ تؤكد على وحدة الخالق، وأنّهُ يمكن قبول الكتاب المقدس «نصوص الأناجيل» شريطةَ تفسيرهِ بصورةٍ منطقيةٍ، وفي العام ١٨٢٥ أسسوا ما أسموهُ الجمعية التوحيدية الأمريكية:

«American Unitarian Association» AUA ومع نهايةِ القرنِ التاسع عشر تبنت الجمعية سياسة التسامح والاعترافِ بأنّ ثمةَ حقيقةً في الأديانِ غيرِ المسيحيةِ، ثمَّ في العامِ ١٩٦١م اتحدت مع الكنيسة الأمريكية العالمية «Universal Church of America» وأصبحَ اسمها الجمعية العالمية التوحيدية«Unitarian Universalist Association» UUA ، وهي ترفض العقائد المتوارثةِ عن طريقِ الكنائسِ وتؤكدُ على وحدانيةِ الخالق وإنسانية المسيح، ومسؤولية الناس عن أعمالهم وإمكانيةِ تحقيقِ النّجاةِ ليسَ بالضّرورةِ فقط عن طريقِ الدِّين المسيحي[55].

---

[55] **Livingstone. E. A، Oxford Dictionary of the Christian Church، Oxford University press 2000 p. g 595.**